



— روايات مصرية للجيب —

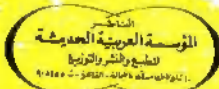
لك قلبي



Looloo  
www.dvd4arab.com



د. تيسيل فاروق



## ١ - ذكريات ..

لست أدري لماذا قررت أن أكتب هذه القصة !  
لست أدري حتى لماذا اخترت هذا الوقت بالذات  
لكتابتها ! ..

ولا كيف استيقظت في عتلي هكذا ، فجأة ،  
بعد عشر سنوات كاملة ..  
إنها قصة قديمة ..

قصة واقعية ، عشت كل أحداثها بنفسى ، وإن  
لم أكن أبداً طرفاً من طرفيها ، اللذين لم أتصور أبداً ،  
طوال معاشتي للقصة ، أن ينتهى بهما الأمر إلى  
ما انتهى إليه ..

ولكن لماذا تذكرت قصتهما الليلة ؟ ..

ربما كان ذلك بسبب خلاف مع زوجى ، الذى  
بلغ اليوم ذروة تنبئ بالخطر ..

أو بسبب تلك الزيارة ، التى عدنا منها منذ ساعتين  
تقريباً ، والتى كانت السبب فى ارتفاع مؤشر توتر

## لك قلبى

ليت شعرى أى حب ينزوى  
فى قاع قلب ماله من قرار  
أى نهر يستجير ليرتوى  
من شفاه ماله فى الحسن جار  
يا ويلتى من أى نبض يكتوى  
لهب القلوب بلا عذاب أو مرار  
رحمك حبي ، فى جحيمك أنتوى  
وأد الحياة مفاخر بالاختيار  
من دون حبك فى حباتى يستوى  
أكبل نصر .. أو مغبة عار  
( نبيل )

زوجي ، وازدياد التباعد بيننا على نحو مفاجئ  
ملحوظ ..

أليس هذا عجباً ؟!

إنكم تعرفونني جميعاً ، من خلال ذلك الباب  
المتواضع ، الذي أحرره في تلك المجلة خفيفة الظل ،  
ذات الانتشار المشرف ..

تعرفون أنني المسئولة عن باب مشاكل القراء ..  
تصوّروا ..

من المفروض أنني حلّالة العقد والمشاكل ، وأن  
الجميع يولوني كل ثقتهم ، لحل مشاكل حياتهم ،  
التي لا أعرف عنها سوى ما أورده كل منهم في خطابه ،  
بكلمات وعبارات ، تتراوح ما بين منتهى الركاقة ،  
ومنتهى البلاغة ، وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أشتمل  
حاساً ، وأنا أطلب من معذبة (أسوان) مواجهة أسرتها  
بحبها العنيف ، وأناشد محبة (الإسكندرية) ترك حبيبها  
المخادع و .. و .. و ..

ولكنني أبداً لم أعلم ما الذي أسفرت عنه نصائحي تلك ..

\*\*\*\*\* ٦ \*\*\*\*\*

كان الأمر - بالنسبة لي - ينتهي بانتهائي من إلقاء  
النصائح ، وبعدها تبدأ مهمة مدير التحرير ، وقسم  
الجمع والطباعة ، إلى أن تصبح المجلة بين يدي القراء ،  
فتحوّل المشكلة عندئذ إلى فضيحة ، تتداولها كل  
الألسن ، وتقرؤها كل العيون ، وتهال عليها عشرات  
النصائح المختلفة ..

ولكنني أعجز تماماً عن حل مشكلتي الخاصة ..  
وصدقوني ... إن هذا يدهشني للغاية ..

فهذه هي المشكلة الوحيدة ، التي أعلم كل  
تفاصيلها ، وعلى نحو بالغ الدقة ، ولكنني أعجز عن  
حلها تماماً ..

ربما لآتي أعلم أن زوجي هو المخطئ ..  
نعم .. إنه كذلك ..

إنه مثلي ، صحفي بنفس المجلة ، التي أعمل بها ،  
وهو صحفي ناجح وشهير للغاية ، حتى أن مجرد ذكر  
اسمه يدفع شهقة إعجاب إلى الحلق ، ونظرة انبهار في  
العيون ..

\*\*\*\*\* ٧ \*\*\*\*\*

ولكنه متخلف ..

نعم .. متخلف ورجعي ..

قد لا يروق لكم استخدام تلك العبارات ، ولكنها

الحقيقة ..

تصوّروا .. إنه يطلب مني أن أترك عملي ، وأكتفي

بكوني زوجته ..

تصوّروا ..

إنه يطالبني بأن أقصر حياتي على اهتماماته هو ،

وطموحه هو ، وتربية ابننا (ماجد) وابنتنا (نرمين) ..

وهذا طبعاً مستحيل ..

مستحيل .. مستحيل .. مستحيل ..

لماذا لا يستقيل هو ؟ ..

إنه يحصل على نفس المرتب الذي أحصل عليه أنا ..

صحيح أنه يملك دخلاً إضافياً ، من كتبه ، التي

تلقي رواجاً كبيراً ، إلا أن هذا لا يمنحه الحق في أن

يطالبني بمحو مستقبل من أجله ..

أتعلمون لماذا بلغ خلافتنا فروته الليلة ؟ ! ..

\*\*\*\*\* ٨ \*\*\*\*\*

لأننا عدنا من زيارة زوجين سعيدين ، كنا نهتمهما

بقدوم مولودهما الثاني ..

لقد رأى فيهما زوجي تلك الصورة التي يحلم بها ..

رأى زوجة محبة ، مطبوعة لزوجها ، متفانية في

خدمته ، وخدمة ولديها منه ، لا تعارضه أو تشاكسه

أبداً ..

وزوج محب حنون ، يحيط زوجته وابنيه بمحناح

الرحمة والعطف ..

هذا ما رآه زوجي ..

أما أنا ، فقد رأيت شيئاً مختلفاً ..

رأيت امرأة خائفة مسكينة ، تلاشت شخصيتها

تماماً أمام شخصية زوجها ، وفي رعاية ابنها ..

وزوج متسلط يلبس ثوب الرحمة ..

هذا ما رأيته أنا ..

ولقد كاد هذا الاختلاف في الرؤية يتسبب في

انفصالنا أنا وزوجي ، عند عودتنا من تلك الزيارة ،

حينما بدأ هو يقارن بين الدفء المحيط بتلك الأسرة

\*\*\*\*\* ٩ \*\*\*\*\*



— على حد قوله — والبرودة المنتشرة في منزلنا ..

بين اهتمام تلك الزوجة بزيبتها ومظهرها ، وإهمالي لمظهرى ، من شدة انهماكى واهتمامى بعملى ، وهذا على حد قوله أيضاً ..

وكان من الطبيعى ألا أسمح له بالتفادى ..

لقد أوقفته عند حده ..

شخصيتى التى بذلت جهداً لتكوينها وصقلها ، طوال تلك السنوات ، تأبى أن أسمح له بالانتصار على ..  
لذا فقد انتصرت ..

واصلت مناقشته ، ومعاندته ، حتى استسلم ، وزفر فى قوة ، ثم ذهب إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى عنف ..

ولكننى لم أشعر بطعم الظفر ..

لقد كنت واثقة من أننى قد انتصرت ، إلا أن ذلك النصر كان يترك فى حلقى مذاقاً عجيبياً ..  
مذاق الهزيمة ..

كان نصراً عجيباً غريباً حقاً ..

وربما لهذا تذكرت تلك القصة ..

قصة ( عزة ) ..

و ( عزة ) هذه هى زميلة من زميلات طفولتى ..  
نشأنا معاً ، وترعرعنا معاً ، وسرنا جنباً إلى جنب حتى النهاية ..

كانت لنا نفس الميول ، ونفس المشارب ..

نفس الأذواق والأهواء ..

حتى دخلنا معاً كلية الإعلام ..

لست أدري لماذا تختلف الشخصية اختلافاً تاماً ،

فى المرحلة الجامعية بالذات ١٩ ..

هذا يحدث لكل الجامعيين تقريباً ..

كلهم ، إما أن يشملهم انطواء مفاجئ ، أو يفتحون

على الحياة فجأة ..

ولقد كانت ( عزة ) من النوع الثانى ..

لم تكد تلتحق بالجامعة . حتى خيّل لى أن ثقها بنفسها قد تضاعفت ، وأنها قد صارت مخلوقاً أكثر نضجاً ونشاطاً ..

لقد تحولت في الواقع ، وكما يقول الأدباء ، إلى  
شعلة نشاط ..

ومع العام الثاني في الجامعة ، كانت عضواً بارزاً  
في معظم الأنشطة الثقافية والفنية ، وفي لجان الجسالة  
 واتحاد الطلاب .

وكانت شديدة الاعتداد بنفسها إلى حد كبير ..

ولكن جزءاً من شخصيتها كان يخفى بشدة ..

إنه بساطتها الشديدة ، ومرحها الدائم مع الجميع .  
إن مجتمعنا الشرقي لم يعتد أبداً - حتى الآن - مرح

الفتيات وبساطتهن ..

إنه ينسب كل ذلك دوماً إلى الفجور وقلة الحياء ..

وهذا ما كنت أخشاه على ( عزة ) ..

ولكنني ما زلت أذكر حادثاً شديداً الأهمية ، أزال  
من نفسي ذلك الخوف عليها ، وجعلني أشعر بنجاحها  
بالفخر والتقدير ، وأخذ منها مثلاً أعلى ، على الرغم  
من أنني أكبرها ببضعة أشهر ..

كان ذلك في أثناء الإعداد لحفلة من حفلات الكلية ،

التي كانت هي إحدى أعمدتها الضرورية ، وكانت  
منهمكة في إعداد ديكورات الحفل ، وأنا أشاركها  
مشاركة متواضعة ، عندما اقترب منها زميل ، كان  
يرأس اللجنة الفنية باتحاد الطلاب - آنذاك ، ويحتل  
اليوم موقعاً مرموقاً في إحدى الصحف الحزبية المعروفة ،  
وارتسمت على شفتيه ابتسامة لم ترق لي ، وهو يقول  
لها في لهجة أقرب إلى الثعالب :

- جهد عظيم يا ( عزة ) .

ابتسمت ( عزة ) في مرح ، وهي تلتفت إليه ،

قائلة :

- من بعض ما عندكم أيها العبقري .

مال نحوها ، وهمس :

- إنك تستحقين مكافأة .

بسطت راحتي أمامه ، وهي تضحك ، قائلة :

- إنني أنتظرها بلهفة .

اتسعت ابتسامته ، كذب صارت فريسته على قيد

خطوة واحدة منه ، وهو يغمز قائلاً :

— ليس هنا .. إننى أفكر فى أن نحتفل وحدنا ،  
أنا وأنت ، بحصولك على الجائزة .

كان معنى عبارته واضحاً ، وكنت أتوقع أن  
تتجههم (عزة) ، وتخطبه فى حيلة ، أو تشيح بوجهها  
عنه فى غضب ، إلا أننى فوجئت بها تحتفظ بابتسامتها ،  
وهى تقول فى هدوء :

— أين ؟

تألفت عينا اللذب ، وهو يهتف فى لفة ، وقد  
تنامى وجودى تماماً :

— فى أى مكان يروق لك .. فى كازينو الطيور  
مثلاً .

حافظت على ابتسامتها المرحية ، وهى تقول فى بساطة :

— مكان ظريف .. لقد رأيت شقيقتك فيه أول  
أمس ، مع شاب وسيم ، و ..

قاطعها فى حيلة :

— شقيقتى ؟ .. مستحيل ! إنها لا ترتاد مثل  
تلك الأماكن و ..

بتر عبارته بغتة ، وتصاعدت حمرة الخجل إلى  
وجنتيه ، عندما تذب فجأة إلى ذلك الفخ ، الذى قادته  
إليه فى بساطة وذكاء ، فأطرق برأسه ، وبدأ وكأن  
الكلمات قد احتبست فى حلقه ، على حين استطردت  
هى فى بساطة « ودون أن تتلاشى ابتسامتها المرحية :

— دعنا نتحاشى هذا المكان إذن ، ما دام يثير  
الشبهات إلى هذا الحد .. قل لى : أليس من الأفضل أن

أتسلم جائزتى هنا « أمام الجميع ؟ .. إننى لن أخجل  
من تسلمها ، وأنا أستحقها بالفعل .. أليس كذلك ؟

نعم دون أن يرفع عينيه إليها :

— بلى ..  
وارتبك على نحو واضح ، وهو يعتمد بخطوات

سريعة « فالتفت أنا إليها وهتفت فى حماسة وإعجاب :

— لقد كنت رائعة يا (عزة) .. إنه يستحق ذلك  
بالفعل .

تهشدت وأجابتنى فى هدوء أدهشنى :

— إنه لم يخطئ يا (سوسن) .

هتفت في استنكار :

— كيف ؟ .. ألم يطلب منك بكل وقاحة أن .. ؟

قاطعتني في هدوء :

— لأنه لم يكن وقحاً .. ولا ينبغي أن ننسى أبداً أن

التجاذب بين الإناث والذكور أمر طبيعي .

هتفت في حيدة :

— ولكنه أراد أن يلتقي بك وحدكما .

انسعت ابتسامتها ، وهي تقول :

— كان عليه أن يحاول .. هذا من حقه ، كما أنه

من حقي أن أرفض مطلبه .

ثم مالت نحوي ، واستطردت في مرح :

— ولا تنسى أنه لو كان يروق لي ، لوافقت بعد

بعض التمتع .. أليس هذا ما نفعله دوماً ؟

وأطلقت ضحكة مرحة صافية ، جعلتني — على

الرغم مني — أبتمس ..

هكذا كانت ( عزة ) ..

مرحة ، بسيطة ، واثقة ..



• • •



لم ألحظ - في الواقع - وجود (معتز) في حياة (عزة) ، إلا بعد فترة طويلة ، من دخوله إليها بالفعل ..

ربما ، لأنها كانت تعامله - كما تعامل الجميع - بنفس المرح والبساطة ..

أو لأنه كان من الطبيعي أن تنشأ بينهما علاقة ما ، من الناحية العملية ، فقد كان هو أمين اللجنة الفنية باتحاد طلاب الكلية ، وكانت هي من أكثر الفتيات نشاطاً في هذا المجال ..

المهم أنني لم أنتبه إلى اهتمامها به في البداية ..

و (معتز) هذا طويل القامة ، مجعد الشعر ، هادئ الملامح ، تختفي عيناه دوماً خلف منظار طبي طريف ..

ولقد كان هذا يتناقض مع (عزة) ، فهي أميل إلى القصر ، ناعمة الشعر ، مريحة دوماً ، تمتلك أجمل

عينين رأيتهما في حياتي ، وأكثرهما سواداً ، وأرق شفتين وسط كل فتيات الكلية ..

ولقد كان كل ما يثير اهتمامي ، بالنسبة لـ (معتز) ، هو اسمه ، فـ (معتز) هذا هو الاسم الذي نخطبه به ، والذي يحمله على شفاه الجميع ، أما الاسم المدون في بطاقته الشخصية ، وفي سجلات الكلية ، فهو (المعز) ..

ولقد كان هذا الاسم يثير دهشتي في الواقع ، لأنه أولاً : اسم من أسماء الله (سبحانه وتعالى) الحسنى ، التي لا يصح أبداً أن يحملها مخلوق ، وثانياً : لأنه يذكرني بـ (المعز لدين الله الفاطمي) ، رابع الخلفاء الفاطميين ، الذي آل إليه حكم شمال (أفريقيا) ، ووصلت فتوحاته إلى ساحل المحيط الأطلنطي ، والذي أرسل قائده (جوهر الصقلي) ، على رأس جيش ضخم ، لفتح (مصر) ، فدخلها ، وخط مدينة (القاهرة) ، وشيّد الجامع الأزهر ، وجعل (القاهرة) مقراً للخلافة الفاطمية ..

هذا ما أخبرتنا به كتب التاريخ ..

وهذا كل ما كان يثير انتباهي بالنسبة لـ (معتز) ..  
ثم بدأت أنتبه إلى ما لم أنتبه إليه من قبل ..

انتبهت إلى ذلك البريق « الذي يطلّ من عيني  
( عزة ) ، ويضيء كيانها كله ، كلّها أقدم ( معتز ) ،  
أو بدا من بعيد ، وإلى ذلك الشحوب الذي يعترينا ،  
والذي يتسلل إلى نبراتنا وصورتها ، كلما وقفت  
تحدث إليه ..

لاحظت أنه معه وحده ، لم تكن ( عزة ) تفرح  
وتضحك كما داتها ..

ولم تكن أيضاً تخرن ..

كانت - بكل بساطة - تستكين ..

ولقد تساءلت - في دهشة - كيف لم ألاحظ ذلك  
منذ البداية ؟ ..

لقد لاحظته ذات يوم ، كنت أساعد فيه ( عزة ) على  
إتمام بعض اللمسات الأخيرة ، في معرض سيتم افتتاحه  
في اليوم التالي ، وكانت تبدو شديدة المرح ، وهي  
تضيف شريطاً ملوّناً هنا ، أو زهرة صناعية هناك ،

حتى تراجع ، وابتسمت في سعادة واعتزاز ، وهي  
تأمل عملها « قبل أن تهتف في حماس :

- ما رأيك ؟

أجبتني بإعجاب :

- رائع .

نضّج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تنغمم :

- أتظنين أنه سيروق لـ ( معتز ) ؟

لم يدهشني سؤالها ، بقدر ما أدهشني تلك اللمحة  
التي ألقته بها ..

لقد كانت الحروف تخرج من بين شفثيها كلحن  
حب ، امتزج بلمسة حياء ، مع قليل من اللهفة ،  
وكثير من الشوق ..

كانت تلقى السؤال ، وكأنه قصيدة غزل وشعر ..  
ولقد حدثت في وجهها في دهشة خالصة ، لم  
تستغرق أكثر من لحظة ، ارتفع بعدها صوت هادئ  
يقول :

- بالتأكيد .

رأيت لحظتها جسد ( عزة ) يرتجف كله ..

يرتجف من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ..

ولحظتها أدركت الحقيقة ..

أدركتها قبل حتى أن تلتفت إلى ( معتر ) ، بكل  
ذلك الشوق واللهفة ..

أدركتها قبل أن يُطلَّ من عينيها ذلك البريق الوله ..

أدركت أنها عاشقة ..

أدركت أنها تعشق ذلك الشاب النحيل ، الهادي ،  
ذا المنظار ..

تعشق ( معتر ) ..

لحظتها حدثت في وجه ( معتر ) في دهشة « وكأنما  
أبحث فيه عن السر ، في كل ذلك الحب » الذي نحملة  
له ( عزة ) ، وتضاعفت دهشتي ، حينما بدا لي ، كلما  
أمعنت في تفحصه ، شاباً عادياً للغاية ، لا يشبه تلك  
الصوره التي تصورتها دوماً ، للشباب الذي تقع ( عزة )  
في حبه ، بكل جماله وحيويتها ، وقوة شخصيتها ..

ومما زاد من عجبى ودهشتى ، أنه لم يكن يشعر  
بجيبها له ..

كان من الواضح أنه يتعامل معها كزميلة فحسب ..

زميلة يكن لها كل احترام وتقدير ..

لقد نطق كلمته السابقة في هدوء شديد ، وهو

يقف بيباب المعرض ، فتللت أسارير ( عزة ) ،

واصطبغ وجهها بحمرة الخجل ، وأطل حياؤها واضحاً

في ابتسامها المتلهفة ، وهي تغمغم في خفوت :

— هل .. هل أعجبك الديكور ؟

بدت لي — في تلك اللحظة — وكأنها قد صنعت كل

ذلك من أجله ..

من أجله وحده ..

ولكنه لم يشعر بذلك ..

لقد أجابها في هدوء شديد ، ورصانة أصابتني أنا

شخصياً بالإحباط :

— إنه جيد .

لو أن شخصاً غيره اكتفى بذلك التعليق المقتضب

المواضع ، على أى عمل من أعمالها لتفاخرت وتصابحت ،  
واتهمته بالجهل والرجعية والتخلف « محاولة توضيح أن  
عملها هذا يتنافس ، إن لم يبق ، أعظم أعمال (فان جوخ)  
و ( سيزان ) و ( بيكاسو ) ، فى أسلوب مرح أنيق ،  
لا ينتزع ممن أمامها سوى الضحك والإعجاب ، أما  
أمام ( معتر ) ، فقد تهلت أساريرها ، وأشرق وجهها ،  
وتخضب بحمرة رائعة ، وارتسمت على شفيتها ابتسامة  
مثالفة ، تجمع كل فرح وسعادة الدنيا كلها ..

ثم اكتفى ( معتر ) بهذا الجواب « وألقى نظرة  
سريعة رصينة على المعرض والمعروضات ، ثم ابتسم  
فى رصانة ، وغادر المكان ، دون أن يلقى عليها  
نظرة إضافية ، مغفماً :

— من حسن الحظ أن الديكور قد انتهى ميكراً ،  
فالمعرض سيبدأ صباح الغد .

كانت تتابعه ببصرها فى ولع عجيب ، وهى توى  
برأسها فى طاعة ، كما لو كانت جارية يسعدها تلبية

أوامر سيدها ، مما أثار حنق ، فهتفت بها فى لهجة تحمل  
كل الاستنكار :

— ( عزة ) ؟

التفتت إلى ، وهى تحمل نفس الابتسامة على  
شفيتها ، وغضمت فى شرود :

— ماذا هناك يا « سوسن » ؟

حدقت فى وجهها ، الذى يحمل اعترافاً صريحاً  
بالحب ، بكل الدهشة ، قبل أمر أنعمم :

— ( عزة ) .. هل تحبينه ؟

أسبلت جفניה فى هيام ، وهى تهتف فى حماس :

— بالطبع .

كنت أتوقع منها بعض المراوغة والتحايل ، لذا  
فقد أذهلتى جوابها الصريح المباشر ، وجعلنى أحدى  
فى وجهها ، على نحو جعلنى أبدو كالبلهاء ، فهتفت  
فى سخط :

— لماذا ؟

هزت كتفها ، وضحكت فى حياء وهى تقول :



— أهنالك سبب للحب ؟

هتفت بها :

— بالتأكيد .

ضحكت ، وهى تقول :

— لن يكون حباً فى هذه الحالة ، بل عقد

مشاركة مضمون .

تمتمت فى إشفاق :

— ولكنه لا يشعر بك .

فوجئت بها تسألنى فى شغف :

— وكيف أجعله يفعل ؟

استنكرت سؤالها فى شدة ، فهتفت :

— ( عزة ) ١٩ .. ماذا دهاك ؟

هتفت فى سعادة :

— أحببت .. أحببت يا ( سوسن ) .

كان من الواضح أنها غارقة فى الحب حتى أذنيها ،

وأنه ما من قوة فى الأرض يمكنها أن تنتزع ( معتر ) من

قلبيها ، على الرغم من أننى لست أدري متى بدأ ذلك

الحب ، ولا كيف تما إلى هذا الحد ، لذا فقد قررت

تجاهل كل ذلك والوقوف إلى جوارها ، كما يقتضى

واجبى ، وأجبتها فى خفوت :

— حذار أن تضيعى شبابك ، فى حب من طرف

واحد يا ( عزة ) .

نعمت فى خجل :

— وكيف لا أجعله كذلك ؟

تهتدت ، وأنا أقول :

— بالأسلوب التقليدى طبعاً .. عليك أن تحاولى

جذب انتباهه ، وتشجيعه على الإقدام و ..

قاطعتنى ضاحكة :

— والانتظار حتى يفهم ، ويتقدم ، ويطلب يدى ..

كلأ يا صديقتى العزيزة .. هذا الأسلوب يصلح للقرن

التاسع عشر ، وليس لجيلنا .

قلت فى قوتر :

— إنه الأسلوب الصالح لكل العصور والأجيال ،

فى مجتمعاتنا الشرقية يا ( عزة ) ، فالرجل الشرقى يهوى

دائماً لعب دور الصيَّاد ، الذى يسعى خلف فريسته ،  
ويقتنصها بكل مهاراته وذكائه .

— إنها لعبة خداعية ، فالمرأة فى الواقع هى دائماً  
الصيَّاد ، الذى يتخفَّى فى ثوب الفريسة ، وهى التى  
تصيِّد الزوج المناسب ، وتنصب له الفخاخ ، على  
هيئة الاستكانة والاستسلام والخنوع .

— الجميع يهوون هذه اللعبة ، فهى تضع كل  
طرف فى الصورة التى يحبها لنفسه ، فالرجل يكره أن  
يكون الفريسة ، حتى وإن كان الواقع هو أنه كذلك ،  
ويكره أيضاً أن تكون المرأة هى الصيَّاد ، حتى  
لا ينتقص هذا من إحساسه برجلته وذاتيته .

— وما الذى يسعى إلى رجولة الرجل ، حينما  
تختاره المرأة ، بدلاً من أن يختارها هو ؟

— إنها تفقده زمام المبادرة ، والرجل يحب دوماً  
أن يكون البادئ .

— ولكن اختيار المرأة له فخر لرجولته ، فهو  
يعنى أنها قد انجذبت إلى تلك الرجولة .

— ليس هكذا يفكر رجال الشرق يا ( عزة ) ..

— كيف يفكرون إذن ؟

— إنهم يرون أن المرأة التى تسعى خلف الرجل  
هى امرأة منحلة خلقياً ، وأن الرجل الذى يقبل ذلك  
الأسلوب تنقصه الرجولة .

— إنهم على خطأ بالتأكيد ، فالسيدة ( خديجة )  
( رضى الله عنها ) هى التى سعت للزواج من الرسول  
الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) ، ولقد قبل ( صلوات الله  
عليه وسلامه ) الزواج منها ، ولم ينتقص هذا من رجولته  
( عليه الصلاة والسلام ) ، ولم يضعها ( رضى الله عنها )  
فى مصاف أقل من الشريكات .

أدهشنى منطقها العقلانى ، الذى لا يقبل الجدل ،  
إلا أننى غفمت :

— ليس هكذا ينظر مجتمعنا إلى الأمور .

أجابتنى فى هدوء وبساطة :

— المجتمع مخطئ إذن .

انعدد حاجباى ، وأنا أقرب منها ، وأصلها فى  
قلق وحذر :

— ( عزة ) .. فيم تفكرين ؟

ابتسمت « وتألقت عيناها ، وهى تقول فى شوق  
وجدل :

— فى وسيلة لإبلاغ ( معتر ) بحبى له .

هتفت فى ذعر :

— ( عزة ) ؟ .. لست أظنك تفكرين فى .. !

قاطعتنى فى مرح أرعبنى :

— بالتأكيد يا ( سوسن ) .. هذا هو الأسلوب

الوحيد .

وضحكت قبل أن تردف :

— سأطلب يد ( معتر ) .

■ ■ ■

### ٣ — الفاية والوسيلة ..

مهمة عسيرة « تلك التى ألقتها ( عزة ) على  
كاهلى ..

لقد كانت تصرّ على أن تفتاح ( معتر ) بحبها له  
بنفسها ، على الرغم من توصل إلى أنها لا تقدم على ذلك «  
حتى لانت ووافقت على ألا تفعل ، ولكن بشرط  
واحد ..

أن أفعل أنا ..

أن أخبره بحبها له ..

لست أدري أين تصوّر ( عزة ) نفسها ..

لاريب أنها قد نسيت أنها فتاة مصرية شرقية ،  
وليست أوربية أو أمريكية ..

لقد تصوّرت يومها أنها قد أصيبت بنوع غيف  
من الجنون ..

جنون الحب —

ولقد وافقتها على أن أحل هذه المهمة العسيرة على

كاهلي ، لأنتي أحبها ، وأخشى أن يصدمها (معتر) ،  
بارتباطه بفتاة أخرى مثلاً ، أو برفضه لشخصيتها ..

ويومها قضيت ليلتي كلها ساهرة ..

لم يغمض لي جفن ، حتى الصباح ..

كان عقلي بموج بعشرات الأفكار والصراعات ،  
وذهني يحاول معرفة أينما على حق ، أنا أم هي ؟ ..

أمن الطبيعي أن تسعى فتاة خلف شاب ؟ ..

أمن المنطق أن يحبها ويحترمها ، بعد أن سمعت هي

إليه ؟ ..

كان المنطق والعقل يجيبان على كل تلك الأسئلة

بالإيجاب ، ثم يأتي المجتمع فيجيب عنها بالنفي ، وبكل

شدة واستنكار واستهجان ..

وحق تلك اللحظة ، التي ذهبت فيها إلى الكلية ،

لحضور الحفل ، لم أكن قد حسمت أمري بعد ، فيها

إذا كنت سأقوم بالمهمة أم لا ..

ثم رأيتهما ..

كان عميد الكلية بقص شريط افتتاح المعرض ،

\*\*\*\*\* ٢٢ \*\*\*\*\*

وإلى جوارده (معتر) ، على حين كانت هي تقف على  
قيد خطوات منهما ، وقد بدت وكأنما نسيت الدنيا  
كلها ، ولم تعد تشعر بأي مما حولها ، سواء ..

كانت عيناها تتألقان في سعادة واضحة ، وفرح

شديد ، وهي تملؤهما بوجه (معتر) وابتهامته الرصينة ..

وداخل المعرض ، الذي صنعت هي كل ركن

فيه ، اكتفت بالوقوف في الركن ، والتطلع إلى (معتر) ،

وهو يصف المعروضات للحاضرين ، في انبهار وسعادة ..

لحظتها أدركت أنني لا أستطيع رفض المهمة ..

لا أستطيع رفضها من أجلها ..

وانتظرت ..

انتظرت حتى نهاية المعرض ، ثم اقتربت منها ،

ورأيتهما تتطأ إلى في ضراعة وأمل ، فابتسمت في

شحوب ، واكتفيت بضغط كفها في راحتي ، ثم

تركتهما دون أن تتبادل حرفاً واحداً ، وانجهت نحو

(معتر) ، وشعرت بقلبي يخفق في توتر ورهبة ،

وكانتني أتمجه إلى منصة الإعدام ، ولا ريب أن وجهي

\*\*\*\*\* ٢٢ \*\*\*\*\*

(٣ - لك قلبي - زهور)



كان شديد الشحوب ، وأنا أقف أمامه ، وأعغم في صوت متحشرج :

— مبارك .

ابتسم برصانته المعهودة ، وهو يقول :

— شكراً .

ثم التفت إلى ( عزة ) ، مستطرداً :

— الفضل ، كل الفضل ، يعود إلى ( عزة ) ،

فهي صاحبة المعرض الحقيقية .

أشرق وجه ( عزة ) في سعادة بالغة ، وأطرقت

بوجهها في حياء شديد ، وخيّل إلى لحظتها أن مهمتي

لن تكون بالصعوبة التي أتصوّرها ، فقد لحت في عينيه

ومضة حنان دافقة ..

لحظتها اختلج قلبي بين ضلوعي في شدة ..

إنه أيضاً يحبها ..

يا للمهزلة !! ..

كلاهما يحب الآخر ، وكلاهما لا يجرؤ على البوح

بحبه للآخر !! ..

لحظتها فقط تنهدت في ارتياح ، وأشارت إلى ( عزة ) بإشارة خفية متفق عليها ، فأسرت تغادر المكان في ارتباك واضح ، وبوجه شديد التخضب ، حتى أنني تساءلت كيف كانت ستدّوح له بحبها بنفسها ؟ وكم أسعدني أن تابع ( معتر ) انصرافها ببصره ، وحيناه تحملان نفس الاهتمام والحنان ، مما شجّعني على أن أعغم :

— إنها فتاة رائعة .. أليس كذلك ؟

عغم في شروء :

— بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلى « » وابتسم ابتسامته التقليدية

الرصينة ، وهو يستطرد :

— كان ينبغي أن تلتحق بكلية الفنون الجميلة ،

فهي حقاً موهوبة .

قلت في اهتمام :

— أعلم أنها تتمنى العمل في صحيفة فنية ؟

حافظ على ابتسامته الرصينة ، وهو يغمم :

- نعم .. أعلم ذلك .

قلت ، وقد بدأ التوتر يسرى في نبرأى :

- وأنها أديبة موهوبة أيضاً .

أوما برأسه موافقاً ، وهو يتمم :

- أعلم ذلك .

استجمعت شجاعتي ، وقاومت عنف نبضات

قلبي ، وأنا أقول :

- وأنها تحبك .

خيّل إلى أن ابتسامته قد تجمدت على شفثه لحظات ،

وأن وجهه قد شحب بغتة ، وأن عضلاته قد ارتجفت

لحظة ، وتوقعت أن أسمع منه أى جواب في العالم .

إلا ذلك الجواب المقتضب ، الذي ألقاه بصوت خافت

حزين ، متمماً :

- أعلم ذلك .

حدقت في وجهه بذهول ، وأنا أردد :

- تعلم ذلك ؟

أطرق بوجهه في حزن ، وهو ضيف في خفوت شديد :

\*\*\*\*\* ٣٦ \*\*\*\*\*

- للأسف .

وجدت نفسي أهتف بمزيد من الدهول :

- للأسف ؟ .. ولماذا للأسف ؟ .. إنك تحبها

أيضاً .. أليس كذلك ؟

أوما برأسه إيجاباً ، دون أن يتبس ببنت شفة ،

فتراجعت وأنا أعغم في حيرة شديدة :

- ما المشكلة إذن ؟

أشار إلى رأسه ، وهو يجيب في مرارة :

- هذا .

لم أفهم ما الذي يعنيه ، فغمغمت في دهشة :

- هذا ؟ ..

أوما برأسه إيجاباً ، وقال في خفوت :

- أقصد عقلي .

بدت لي إجابته مبهمه ، غامضة ، فتمتمت في

خفوت يحمل الكثير من الهلع :

- وما شأن عقلك بالأمر ؟

\*\*\*\*\* ٣٧ \*\*\*\*\*

أطلّ من عينيه حزن هائل ، وهو يرفعهما إلى ،  
قائلا في مرارة :

- إنه يقاوم ذلك الحب في يأس واستماتة .

كانت دهشتي لكلماته كبيرة ، حتى أنني قد  
نسيت كل قواعد الخوف والقلق واللياقة والحجل ،  
وأنا أسأله :

- لماذا ؟ ..

تناسى بدوره كل القواعد السالف ذكرها ، وهو  
يجيب في مرارة :

- صديقى يا ( سوسن ) .. إننى غارق فى حب  
( غزة ) ، حتى فقه رأسى .. إننى أتنفّس حبها ، وأنفص  
به ، ولكن عقلى يصّر على أنه من المستحيل أن نتفق ،  
فأنا أميل إلى الرصانة بطبعى ، على حين تعلمين ويعلم  
الجميع أن ( غزة ) شديدة المرح ، تتبسط مع الجميع ،  
على نحو لا يتفق مع تقاليدنا الشرقية .

تمتت فى شرود :

- ولكنها لم ترتكب فى حياتها أية أخطاء أخلاقية :

أشاح بوجهه ، مغمضاً :

- من وجهة نظرك .

أغضبتنى عبارته ، فصحت محنقة :

- وفى وجهة نظر الجميع .. إننى أنحدى أى  
خلق يسيء إلى سمعتها أو ..  
قاطعنى فى حدة :

- ليس هذا ما أقصده .

سألته فى غضب :

- ما الذى تعنيه إذن ، بأنها لم ترتكب أية أخطاء  
أخلاقية . من وجهة نظرى فقط ؟

زفر فى عمق . وشرد ببصره فى سقف المكان  
الحظات ، ثم أجاب :

- اسمعنى يا ( سوسن ) . وحاول أن تفهمى

وجهة نظرى ، وأن تستوعبى .. صعب أن معاير  
الأخلاقيات ثابتة ، محدودة فى كل الأديان ، إلا أنها  
تختلف كثيراً . من مجتمع إلى آخر . فالمرأة تعد  
منحلة ، فى أقاصى الصعيد مثلاً ، لو أنها كشفت عن

وجهها ، أو شعرها ، على حين نعتبر نحن ذلك أمراً عادياً هنا ، في الوقت الذي ننظر فيه إلى المرأة المدخنة أو التي ترتدي ثوب بحر ، على أنها منحرفة ، وينظر إليها غيرنا ، على أنها سيدة عادية ، تمارس حريتها الشخصية ، ويتدرج الأمر حتى يصل إلى أن المرأة العارية لا تخالف أية قواعد أخلاقية ، على شواطئ العراة في (أوروبا) و (أمريكا) .

هالتي المعنى ، الذي تصورته بسمى إليه ، فغمغمت في صوت متحشرج :

— لم أفهم بعد ما الذي تقصده ؟

عاد يشيح بوجهه « وازدرد لعابه على نحو جعلني أرنجف » قبل أن يجيب في مرارة :

— سأختصر الأمر تماماً .. وبكل صراحة .. إن أسلوب حياتي يتعارض تماماً مع أسلوب (عزة) .

نغمغمت في شحوب :

— ولكنك تحبها .

هتف في ألم :

— ليس هذا هو المهم ، فالحب وحده لا يكفي لحياة زوجية ناجحة .. لا بد من التفاهم والتقارب أيضاً ، وأنا و (عزة) متعارضان .. أفهمين ؟

أفهمين يا (سوسن) ؟

جاهدت لحظات ، لأجيب بصوت مختنق :

— نعم .. أفهم يا (معتز) .

وازدردت لعابي في صعوبة « في محاولة لترطيب

حلقى الجفاف ، قبل أن أضيف في توتر :

— المهم هو كيف تفهم (عزة) ؟ .. كيف ؟

\*\*\*





## ٤ - لا تراجع ولا استسلام ..

لم أدرك كم كانت مهمة مصارحة (معتز) هيئة ،  
إلا عندما حانت لحظة مصارحة (عزة) ..

لقد غادرت المعرض ، لأجدها تنتظرني أمامه في  
لحفة واضحة ، والشوق يطل من كل خلجة من  
خلجاتها ، ولم تكذ تراني حتى هرعت إلى ، وجذبتني  
من معصمي إلى خيلة هادئة ، ثم التفتت إلى ، وسمعت  
خفقات قلبها تختلط بلهفة صوته ، وهي تسألني :

— ما حدث ؟

بدلت جهداً رهيباً ، لأجيب بصوت متحرج ،  
ملؤه الانفعال :

— كل خير .

سألني في لهفة :

— هل أخبرته ؟

لم أستطع لحظتها سوى أن أومئ برأسي إيجاباً ،  
فأطل من عينيها رجاء أدمى قلبي ، وهي تقول :

\*\*\*\*\* ٤٢ \*\*\*\*\*

— وماذا قال ؟

فكّرت في البداية أن أعود فأنكر أنني قد تحدثت  
إليه ، وندمت أشد الندم لأنني أجبتها بالإيجاب ، ثم لم  
ألبث أن شعرت بضرورة مصارحتها بالحقيقة كلها ،  
مهما كان ذلك قاسياً ..

فالحقيقة هي دائماً الدواء الشافي لكل عيلة ..  
لأنها كالدواء المر ، الذي ينبغي تناوله ، لتلتئم  
الجراح وتشفى ..

المبضع الذي يبرز من قلوبنا الأحلام الزائفة ،  
ويضع الحقائق الواقعية ..

ولقد فعلت ..

استجمعت شجاعتي ، وألقيت على مسامعها كل  
ما حدث ..

بكل الحقائق ..

بكل التفاصيل ..

وباليتني ما فعلت ..

لقد رأيت وجهها يشحب في شدة ، حتى لقد

\*\*\*\*\* ٤٣ \*\*\*\*\*

بات أشد شحوباً في وجوه الموتى ، ورأيت عينيها  
تترقرقان بدموع أشبه بدماء قلب ذبيح ، وهي تستمع  
إلى في صمت تام ..  
ولكنني لم أتوقف ..

واصلت رحلة الحقيقة ، حتى أخبرتها بكل شيء ..  
وبعدها خيَّم علينا صمت كالقبور ..  
صمت طويل ثقيل رهيب ، بدت خلاله شاحبة ،  
جامدة ، باهتة ، ولم أجرؤ أنا خلاله على النطق بحرف  
واحد ، إلى أن نهضت ( عزة ) في بطنه ، فسألها في  
قلق ، وبصوت غادر شفيق في تعثر :

— ماذا ستفعلن ؟

أجابتنى في صوت يحمل صرامة شديدة :

— سأذهب إليه .

اتسعت عيناى في دهول وصمت في وجهها في استنكار :

— تذهين إليه ؟

وقفزت من مقعدي أعترض طريقها ، وأنا

أستطرد في غضب :

\*\*\*\*\* ٤٤ \*\*\*\*\*

— هل جنت ؟ .. كيف تذهين إليه ، بعد أن  
رفضك صراحة ؟  
أجابتنى في حزم ، وقد استردت بشرتها بعض  
توردها :

— إنه لم يرفضني .. لقد قال فقط إننا لن نتفق .  
صمت بها :

— لا فارق .. هذا أيضاً نوع من الرفض .

هزمت رأسها نقياً في عناد ، وهي تقول :

— بل هو استعداد للتفاوض .

صمت في غضب :

— أى تفاوض ؟

أجابتنى في حزم أدهشني :

— إذا كانت ( روسيا ) و ( أمريكا ) قد نجحتا في

توقيع معاهدة وفاق ، أتظنين أننا سنعجز عن ذلك أنا

و ( معتز ) .

— ما تفعلينه هو صك استسلام ، دون قيد أو

شرط ، وليس معاهدة وفاق .

\*\*\*\*\* ٤٥ \*\*\*\*\*

- لا يوجد استسلام في الحب يا صديقتي العزيزة .  
 الاستسلام أسلوب يعقب الحروب فحسب . وأنا  
 و ( معتر ) لم نتحارب قط .  
 - وأين كرامتك ؟  
 - وما الذي يسمى إلى كرامتي ، عندما أهادن  
 من أحب .  
 - ولم لا يهادنك هو ؟  
 - كل يمنح بقدر ما يحب ، ويبسلو أنني أحبه  
 أكثر .  
 - سيفقدك هذا كل نقاط تفوقك عليه .  
 - ومن قال إنني أحب أن أتفوق عليه ؟  
 - طموحك ..  
 - عجباً !! .. أتصورين أن الطموح هو النجاح  
 في العمل فحسب .  
 - هذا أمر منطقي .  
 - أخالفك ، فهناك عشرات الوجوه للطموح  
 والنجاح .

لم أستغ موقفها ، ولم يرق لي أسلوبها أبداً ،  
 فأمسكت معصمها في قوة ، وأنا أقول في حزم :  
 - لن أسمح لك بالذهاب إليه .. إنك ستفقد  
 كل قيمتك لديه لو فعلت .  
 واجهتني بابتسامة واثقة « وهي تقول :  
 - لو أنه يفكر بهذا الأسلوب ، فلن أخسر كثيراً  
 بفقده .  
 ثم أزاحت يدي عن معصمها في هدوء ، وانجهدت  
 نحو المعرض ، وغابت داخله ، وتركتني نهباً لعشرات  
 المشاعر ..  
 لم أوافق على موقفها هذا أبداً ..  
 رفضت تلك المرأة الشرقية ، الرابضة في أعماق ،  
 أن تعترف فتاة لشاب بحبها ..  
 رفضت قلب قواعد لعبة الصيد .  
 لقد كنت أؤمن تماماً بأنه من الضروري أن تدار  
 اللعبة دائماً بنفس القواعد ..  
 الرجل الصياد « والمرأة الفريسة ..

ثم تهاوى كل ذلك فجأة ، عندما رأيت ( عزة )  
 و ( معتز ) يغادران المعرض ..  
 وجهاهما حسما الأمر ..  
 ملاحظتهما أنهت البحث ..  
 لم يعد هناك داع للاستمرار ..  
 لقد انتصرت ( عزة ) ..

\*\*\*



هذا هو الأسلوب التقليدي المستساغ ..  
 ولما كنت أجهل الكثير عن شخصية ( معتز ) ،  
 فقد رحت أبحث عن استنتاج منطقي لرد فعله ، عندما  
 تذهب إليه ( عزة ) ..  
 هل سيتقبل الأمر بعقل متفتح ، ويعترف بحبه  
 لها ، أم يكابر ويعاند ، كأي رجل شرقي ، يأبى لعب  
 دور الفريسة ؟ ..

أبتمتع بعقل شرقي قُصع يا ثري ؟ ..  
 حاولت أن أستعيد تفاصيل حديثنا معاً ..  
 كل جملة ..  
 كل كلمة ..  
 كل حرف ..

والعجيب أنني وجدت صعوبة بالغة في ذلك ،  
 على الرغم من أنه لم تمض لحظات على حديثنا بعد .  
 كنت أحاول فقط أن أستنتج - من الحديث -  
 طبيعة شخصيته ، واحتمالات ردود أفعاله ..



لست أظنني بحاجة إلى أن أشير ، إلى أن ارتباط  
( عزة ) و ( معتر ) كان مبعثاً لدهشة مجتمع الكلية  
كله ، فالتناقض بين شخصيتهما كان شديد الوضوح ،  
إلى حد جعلهما أشبه بالنار والتلج ..

ولقد كانت ( عزة ) بالطبع هي النار ..

كان من العسير أن يصدق مخلوق واحد ، في  
مجتمع الكلية كله ، أن ( عزة ) و ( معتر ) يمكنهما أن  
يتقاربا ، وأن يرتبطا برباط حب ..  
ولكنهما فعلاً ..

إن ( عزة ) لم تخبرني أبداً بما دار بينها وبين ( معتر ) ..  
عندما ذهبت إليه في المعرض « وأنا من جانبي لم  
أحاول أن أسأله ، إلا أنني واثقة من أنهما قد وقعا  
هناك وثيقة حبهما ، وأنهما قد توصلا - بوسيلة ما -  
إلى أسلوب لسد الفجوة الضخمة بين شخصيتهما ..

ويبدو أن هذا الأسلوب كان يتحرك من ناحية

( عزة ) وحدها ، فلقد ظل ( معتر ) كما هو ، وصيناً  
مُتَزَنّاً ، أما هي ، فقد حافظت على مرحها ، وإن  
أحاطته بإطار رصين بعض الشيء ..

وينبغي هنا أن أشير إلى أنني لم أقتنع بأسلوب  
( عزة ) هذا أبداً ، فحتى لو وقعت في حب أعظم  
رجل في العالم « فأنا أفضل أن أفقده ، عن أن أسعى  
أنا إليه ، وأعترف له بحبي « قبل أن يفعل هو ..

لقد قلت في البداية أنني أتفق مع ( عزة ) في  
الكثير من المشارب والأهواء ..  
وهذا صحيح ..

إلا فيما يخص تلك النقطة بالذات ..  
ولكن أياً كانت وجهة نظري ، فقد ارتبط  
( معتر ) و ( عزة ) ، وإن لم تختف تلك الفجوة بينهما  
أبداً ..

ما زلت أذكر ذلك اليوم ، عندما ذهبنا جميعاً في  
رحلة إلى ( الإسكندرية ) ، والرحلات الجامعية دائماً  
عبارة عن نشاطات يصل فيها المرح إلى ذروته ،

وتدوب فيها الفوارق بين الجميع « وتشيع روح الأسرة ،  
فيشارك الأساتذة والطلاب في أغان مرحة ، وألعاب  
طريقة .

حتى أكثر أساتذة الكلية رصانة ، كان يشاركنا  
مرحنا ..

إلا ( معتر ) ..

لقد ظل محظوظاً برصانته ، مكتفياً باقتسامه أنيقة ،  
هي أقصى ما يعبر به عن مرحة ، ومشاركته لنا ..  
أما ( عزة ) ، فقد كانت تختلف ..

لقد اكتفت ، في النصف ساعة الأولى « بالجلوس  
إلى جوار ( معتر ) في الحافلة ، ومشاركته ذلك التصفيق  
الرصين ، والابتسام الوقور ..

ثم غلبتها طبيعتها ، فقامت تشارك الجميع ضحكاتهم  
ومرحهم « واندججت معهم في ألعابهم وغنائهم ..

يومها تساءلت : ماذا سيفعل ( معتر ) ، وكيف  
سيقتبل ذلك « فالتفت إليه وارتجف قلبي قلقاً ، وأنا  
أنتطح إلى ملاحه ..

كان وجهه جامداً ، صامتاً ، وهو يراقب ما تفعله  
( عزة ) ، إلا أن عينيه كانتا يحملان بريق غضب عنيف ..  
ولم يختلف ذلك البريق ، أو يخفت ، حتى وصلنا  
إلى ( الإسكندرية ) ..

وهناك كشفت ( عزة ) موقفه ، عندما فوجئت به  
يتعامل معها في برود شديد ، متعمداً تجاهلها « وتوزيع  
اقتسامته على جميع فتيات الرحلة ، سواها ..  
لقد أفسد عليها ( معتر ) الرحلة ..  
بل أفسدها على أيضاً ..

لقد فقدت ( عزة ) كل مرحها ، وبدأت مهمومة ،  
حزينة ، مكتئبة ، وهي تحاول أن تتقرب إليه مرة  
أخرى ، ولم شعرت أنا بالحنق والسخط ، وهو يصددها  
في جفاء شديد ، ويعاملها في خشونة واضحة ، لم أكن  
أنا لأحتمل لحظة واحدة منها ..

وأخيراً تركته ( عزة ) ..  
تركته وعادت إلى ، ونغممت في صوت يحمل  
عبرات الدنيا كلها :

- (سوسن) .. هيا بنا نبتعد عن الجميع .

سألها في إشفاق :

- لماذا ؟

اختنق صوتها ، وهي تقول :

- لأنني أريد أن أبكي .

لم أفه بحرف واحد ..

لم أعترض ..

لم أناقش ..

فقط أمسكت كفها في عطف ، وابتعدت بها عن

الجميع ..

وبكت ..

في البداية كان بكائها صامتاً ..

فقط عبرات تسيل على وجنتيها ، فتلتصق مع ضوء

الشمس ..

ثم بدأت تنتحب في خفوت ، وتصاعد نحيبها ،

حتى انهمرت دموعي معها ، دون أن تنبس إحداها

بحرف واحد ..

وزرعتها تبكي ، حتى أفرغت كل حزنها ومرارتها ،

ونحن نجلس متجاورتين على سور الكورنيش ، ثم ربست

على كفها في حنان ، وأنا أعغم :

- إنه لا يستحق ذلك .

كانت عبارة مجاملة تقليدية ، تقال في مثل هذه

المواقف ، وتقابل عادة إما بالصمت ، أو بالموافقة ،

ولكن ( عزة ) تمتعت في حزن :

- بل هو يستحق .. أنا التي لا أستحق .

حدقت في وجهها بدهشة ، قبل أن أهتف :

- ماذا دهالك يا ( عزة ) ؟ .. إنك تلغين شخصيتك

إلى جواره تماماً .

أجابتني في مرارة :

- إنه ليس عدواً يا ( سوسن ) .

صحت في حدة :

- لماذا يعاملك إذن كعدوة ؟

- إنه يعاقبني .

- بأي حق ؟

— بحسب الحب .

— الحب ليس قيداً ، أو علاقة بين حاكم ومحكوم ،

حتى يكون فيه من يعاقب الآخر .. الحب علاقة لا تحتاج إلى العقاب ، أو حتى الاعتذار .

— بل هو مسئولية يا (سوسن) ، والمسئولية تعني

الالتزام ، ولقد خالفت أنا ما التزمت به .

— هذا يمنحه حق العقاب ، لا العقاب .

— هذا يتوقف على شخصيته .

— وابن شخصيتك ؟

تجسدت ملامحها مع سؤال الأخير « وأطرفت

بوجهها لحظة ، ثم أجهشت مرة أخرى بالبكاء » وهي

تغمغم :

— إنني أحبه .

— الحب ليس مرادفاً لإلغاء الشخصية ..

— ولكنني أخشى أن أغضبه .

— فليغضب ، ما دام لا يبالي بأحزانك .

— ماذا أفعل يا (سوسن) ؟

هضمت في صرامة !

— اتخذى موقفاً .

— ماذا تعنين ؟

— تجاهليه كما يتجاهلك .

— وماذا لو تركني من أجل ذلك ؟

— لن يتركك .

— من أنباك بذلك ؟ .. إن (معتز) شديد العناد .

— صدقيني « إما أن تتخذى موقفاً حازماً في هذا

الشان ، أو تفقد علاقتكما طبيعتها ، وتصبح أشبه بعلاقة سيئد وجارية .

صمتت لحظات ، وبدأ التوثر في ملامحها ، وهي

تفكر في عمق ، قبل أن تغمغم :

— يبدو أنك على حق .

تنهدت في ارتياح ، ولكن ارتياحي لم يدم سوى

جزء من الثانية ، فلم تكد تنهيدني نختم ، حتى سمعت

صوت (معتز) من خلفي « يقول في رصانة :

— (عزة) .

التفت إليه في دهشة ، ورأيتَه يتطلع إلى ( عزة )  
 بوجهه الرصين الهادئ ، ويشير إليها أن تذهب إليه ،  
 فالتفت إليها في سرعة ، ورمقتها بنظرة تحذير من أن  
 تطيعه أو تذهب إليه ، إلا أنها لم تر نظري مطلقاً ، فقد  
 تهلت أساريرها ، وابتسمت في فرح واضح ، وهبت  
 إليه « ناسية أو متناسية كل ما قلناه وما ناقشناه منذ  
 لحظات ، وأمسكت كفه في ولع ، وهي تهمس :  
 — أنا آسفة .

لم ينجب عليها سوى بابئسامة باهتة ، جعلتها تهلل  
 فرحاً ، وتحتضن أصابعه ، التي تحتضن كفها ، ثم  
 يبتعدان معاً ، وقد تجاهلاني تماماً ..

وتفجرت في أعماقي ثورة عارمة ..

كنت أكره — وبشدة — أسلوبها في التعامل معه ..  
 أسلوب الخضوع التام ، والامتثال بلا قيد أو  
 شرط ..

لقد كانت المسكينة مولعة به إلى حد الجنون ..

كانت تتنازل عن شخصيتها رويداً رويداً من  
 أجله ..

وكنت واثقة من أن هذا لن يسد الفجوة بينهما أبداً ،  
 بل على العكس ، سيزيدها اتساعاً واتساعاً ، حتى تبتلع  
 حبيهما بلا رحمة ..

ولكنني لم أمتصر في القلق عليهما طويلاً ، إذ  
 نشأت بيني وبين ( عزة ) فجوة جديدة ، صنعها اهتمامي  
 بلعبة ظهرت في حياتي ، في تلك الأيام ..

لعبة الصياد والفريسة ..  
 لقد التفتيت في تلك الآونة بزوجي الحالي ( فوزي ) ..  
 وبدأت اللعبة ، ولكن بقواعدى أنا هذه المرة ..



من الطبيعي أن أى قارئ ، لن يجد فارقاً بين نهاية الفصل السابق « وبداية هذا الفصل ، فكل ما سيفعله هو أن ينقل بصره من أسفل الصفحة الماضية ، إلى أعلى هذه الصفحة ، أو يقلب صفحة روايته ، ويواصل القراءة ، ولن يستغرق منه هذا سوى عشر الثانية ، أو ثانية كاملة على الأكثر ، دون أن يخطر بباله لحظة ، أن الفارق بين آخر كلمات الفصل السابق ، وأول كلمات هذا الفصل ساعة كاملة ..

ساعة توقفت فيها عن الكتابة ، وأطفأت ما عباح الحجره ، وجلست فى شرفة منزلى المطل على النيل ، أنعم بنسبات الصيف فى الرابعة صباحاً ، وأدخن سيجارة .. لقد أعادت لى نهايات الفصل السابق ذكرى أول لقاء لى بزوجى ( فوزى ) ..

ذكرى أول جولة فى لعبة القط والفار ، أو الصيد والفريسة ..

ولقد اعتدت أن أجتز ذكرياتى فى الشرفة ، ومع أنفاس سيجارى ..

هل يبدو لكم أنه من العجيب أن أدخن ؟ ..  
هل تشاركون زوجى ، فى رفضه لعادة التدخين التى أزاوها ؟ ..  
كم أعجب لأمركم ! ؟ ..

إنكم تشبهون زوجى كثيراً ، فى رجعيته وتحلُّفه ، فهو مثلكم « يدخن كرجل ، ويفعل ذلك فى الأماكن العامة ، وفى مكتبه ، وأمام ضيوفه ، وحتى أمام ضيفائى ، إلا أنه يرفض فى شدة أن أدخن أنا ، ويكره تماماً أن أفعل ذلك فى أى مكان عام ، وحتى فى إدارة المجسلة ..

حجته فى هذا هى أن مشهد المرأة « التى تدخن السيجارة ، يذكره بالنساء المنحرفات ..

ولقد أغضبني تفسيره هذا كثيراً ، فالتدخين ليس أكثر من مجرد عادة ، بغض النظر عن كونها



عادة حسنة أو سيئة ، وهو في ذلك لا يختلف كثير أ عن تناول الشاي أو القهوة ، وهما مادتان ضارتان أيضاً ، لما تحويانه من مادة ( الكافيين ) ، المثيرة للخلايا المخ ، فلماذا إذن نسمح للمرأة بتناول قدح شاي أو فنجان من القهوة في مكان عام ، ثم نرفض في حزم أن نسمح لها بالتدخين ؟ ..

لقد حاولت أن أناقش زوجي في هذا الأمر أكثر من مرة ، ولكنه في كل مرة يرفض الاستماع إلى وجهة نظري ، أو مناقشتها ، ويكتفي بالغضب والمخاصمة ، مما يزيدني إصراراً وعناداً في مسألة التدخين ، على الرغم من أنني قد فكرت أكثر من مرة في الإقلاع عنه ، أو لا خشيتي من أن يظن زوجي أنني قد فعلت ذلك خوفاً منه ، أو طاعة له ..

ثم إن رفضه مناقشة وجهة نظري ، يجعله يبدو لي ديكتاتوراً ، وأنا أكره ديكتاتورية الحوار ، حينما يصير أحد الأطراف على فرض وجهة نظره دون مناقشة .. وما يضحكني ، ويثير غضبي في الوقت ذاته ،

أن زوجي قد اشتهر ، في الأوساط الصحفية والأدبية ، بدفاعاته المستميتة عن ديمقراطية الحوار ومحاربة الديكتاتورية . في حين يناقض ذلك تماماً في منزله ، دون أن ينتبه إلى أن المنزل هو مجتمع صغير ، ولو أنه ديكتاتور ، في هذا المجتمع الصغير ، فسيتحول إلى ديكتاتور أعظم ، لو أمكنه يوماً أن يحكم مجتمعاً أكبر . ولكنه ، كمثل ، ضحايا لوسائل الإعلام ، التي يصنعونها ..

أتدرون لماذا يصبر زوجي على أن يشهد المرأة المدخنة يذكره بالنساء الساقطات ؟ .. لأنه هكذا وصفتم له وسائل الإعلام .. السينا جعلتهن مدخنات ، والروايات ، وحتى الصور ..

كلها ربطت التدخين عند المرأة بالسقوط .. إنه نوع من الإيحاء الإعلامي الذي يخدع الجميع ، دون أن يدروا .. معصرة ....

يبدو أن ذلك الحديث قد جذبني ، حتى أنه قد  
أنساني القصة الأصلية ..

قصة ( عزة ) و ( معتز ) ..

وقصتي مع زوجي ..

لقد ظهر ( فوزي ) في حياتي في نفس العام  
الذي ارتبط فيه ( معتز ) و ( عزة ) ..

كان محاضراً في الكلية ، قوى الشخصية ، رائع  
الأسلوب ، قوى الحضور ، خفيف الظل ، مما جذبني  
إليه في شدة ، وجعلني أقرر بدء اللعبة معه ..

ولكنني لم أفعل مثل ( عزة ) ..

لم أذهب إليه ، وأخبره صراحة أنني أميل إليه ،  
ولم أستعن بزميلة تخبره ، وإنما قررت أن أمارس معه  
نفس لعبة أمي وجدتي ..

لعبة القط والفار ..

ويعد كل محاضرة يلقيها علينا ، كنت ألحق به  
خارج المدرجات ، وألقى عليه بضعة أسئلة بسيطة ،

\*\*\*\*\* ٦٤ \*\*\*\*\*

وأبتسم على نحو مدروس ، وأخفض عيني في حياء ،  
كلما تطلع إلى وجهي مباشرة ..

في البداية كان يستقبلني ببساطة ، ويحجب عن أسئلتي  
في هدوء ورصانة ، ثم لم يلبث أن أصبح يستقبلني في  
شوق ، ويمنحني ابتسامة واسعة كلما التقينا ، ويتعمد  
أن يطيل فترة وقوفنا معاً ..

ثم بدأ هو يلعب دور الصياد ..

بدأ يحجب عن أسئلتي على نحو غامض ، ويترك  
جزءاً منها بلا إجابة ، ويطالني بقراءة مرجع معين ،  
لا يوجد سوى في مكتبته الخاصة ..  
وبعدها كشف أوراقه ..

كان ذلك قبل نهاية العام بأسابيع قليلة ، عندما  
استقبلني بابتسامة واسعة ، وأجاب عن أسئلتي في مرح  
غير معتاد ، ثم لبث بضع لحظات صامتاً ، يتطلع إلى  
وجهي ، قبل أن يسألني في خفوت :

— أنت مرتبطة يا آنسة ( سوسن ) ؟

ارتجف قلبي لسؤاله ، وأدركت أنني قد بلغت

\*\*\*\*\* ٦٥ \*\*\*\*\*

( ٥ - لك قلبي - زهور )

المهدف ، فظاهرت بعدم الفهم ، وأنا أنعم في حياة :

- ماذا تعني يا دكتور ( فوزى ) ؟

ارتبك ، وهو يغمغم :

- أعني أنت مخطوبة أو ..

قاطعته في لحظة :

- كلاً .. لست مرتبطة بأى مخلوق .

أدهشته إجابتي المتسرعة ، وأدهشنى أيضاً ، حتى

أن وجهى قد تضرع بحمرة خجل قانية . وأنا أنعم

مطرة برأسى في حياة :

- حتى الآن .

خجل إلى أنه قد حلق في وجهى طويلاً . قبل

أن يغمم :

- متى تظنين الموعد الأفضل لمقابلة والدك ؟

نعمت ، وقد عجزت عن كبح ابتسامة فرحة ،

ملأت وجهى :

- بعد انتهاء الامتحانات .

ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

- وهو كذلك .

غادرت مكتبه وأنا أرتجف انفعالا ، وقلبي برقص

طرباً ، وأصبحت أنتظر انتهاء الامتحانات بفارغ

الصبر ، حتى تم خطبتي على ( فوزى ) ..

وجاءت الامتحانات ..

كنت أنا و ( عزة ) في السنة الثانية ، و ( معز )

في السنة النهائية ..

وكانت امتحانات ذلك العام عسيرة للجميع ،

ولكنها انتهت على خير ..

وبعد انتهاء الامتحانات مباشرة ، تقدم ( فوزى )

لخطبتي ، ووافق والدى ، وأقنا حفل خطبة بسيط ،

حضرته ( عزة ) وحدها . إذ لم تكن لـ ( معز ) صفة

رسمية تبيح لى دعوته ..

وفى الحفل ، قبلتني ( عزة ) فى سعادة . وبدأت

شديدة الفرح لخطبتي . وهى تهمس فى أذنى :

- تهنأى يا ( سوسن ) - خطيبك رائع .

همست ضاحكة :

لم تبدأ المتاعب الحقيقية إلا بعد نجاح ( معتر ) ..  
يومها كانت ( عزة ) في قمة سعادتها « لنجاحه  
وتفوقه أولاً ، ولقرب خطبته لها ثانية ، ولم تبال  
بنظرات الجميع ، وهي تتعلق بلذراعه ، أمام لوحنة  
النتائج ، هاتفة في سعادة بالغة :

— مبارك يا ( معتر ) .. مبارك يا أعز مخلوق  
لدي في الوجود .

ارتبك ، وهو يتلفت حوله « واحتقن وجهه  
حينما التفت عيناه بعيون الآخرين ، وارتطمت  
بابتساماتهم الخبيثة ، فأمسك كفها ، قائلاً في خشونة :

— تعالى ..

لم تنتبه لخشونته لحظتها — كما أخبرني فيما بعد —  
فقد كانت السعادة تملأ كل جوانبها ، وهي تسير إلى  
جواره « عبر فناء الكلية ، حتى أجلسها عند أكمة  
مزدهرة ، ووقف أمامها صامتاً ، يتأملها في جمود «  
فتحت أجمل ابتساماتها ، وهي تهمس :

— شكر أيا ( عزة ) .. العقبى لك مع ( معتر ) .  
تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغتمم :

— بإذن الله .

سألها في اهتمام :

— متى سيقدم لخطبتك ؟

غمضت في سعادة :

— بعد ظهور نتيجة البكالوريوس مباشرة .

قبَّلها ، وأنا أقول في سعادة :

— مبارك مقدماً يا صديقتي العزيزة ..

وظهرت نتيجة البكالوريوس ..

ولم ينجح ( معتر ) فحسب ، بل كان أوَّل دفعته .

وكانت سعادة ( عزة ) لا توصف ..

لقد تصوَّرت أمر سعادتها قد حانت ..

ولكنها كانت مخطئة ..

لقد كانت الفجوة بينها وبين ( معتر ) تتسع «

وتتسع .. وتتسع ..

\*\*\*

— مبارك يا حبيبي .

ظل صامتاً ، يتأملها بنفس الجمود ، مما بعث بعض القلق في نفسها ، فلاذت بالصمت ، وهي تتطلع إليه بدورها ، إلى أن قال :

— إنك تنتظرين أن أتقدم لخطبتك .. أليس كذلك ؟

كان سؤاله فجأة ، خالياً من الذوق ، فغمغمت في مزيج من الحيرة والحجل :

— إنني واثقة من أنك ستفعل ، عندما يحين الوقت المناسب .

جلس إلى جوارها ، وهو يقول في حدة أدهشتها :

— ومتى يحين هذا الوقت المناسب ؟

أدارت وجهها ، وهي تغمغم :

— هذا يعود إليك وحدك .

قال في حيدة :

— ماذا تعنين ؟

أجابته وهي تسيطر على أعصابها تماماً :

— أعني أنك تملك وحدك تحديد الموعد المناسب .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال في حزم ، لم يكن له ما يبرره في تلك اللحظة :

— سأقبل وظيفة معيد في الكلية .

لم تعلق على عبارته ، فقد كان من الطبيعي أن يحصل أول الدفعة على تلك الوظيفة ، ومن النادر أن يتخلى عنها ، فلاذت بالصمت ، حتى أضاف هو في عصبية :

— ومرتب هذه الوظيفة لا يتجاوز ستين جنيهاً شهرياً .

تمتعت ( عزة ) في خفوت :

— إنها تكني .

فوجئت به يصيح في غضب :

— تكني ماذا ؟ .. إنها لن تكني حتى لاستئجار

شقة متواضعة ، في حي شعبي ، بفرض أننا سنحصل عليها دون خلل أو مقدم إيجار .

ارتجف قلبها ، وهي تحاول أن تفهم ما يقصده

بثورته ، وتمتعت في صوت شديد الخفوت :

التي تبدو أشبه بمسلسلات التليفزيون ؟ .. قل بكل  
صراحة أنك تريد التنصل من خطيتي .  
عقد حاجبيه ، وأشاح بوجهه ، وهو يغمغم في  
غضب :

— إنني لم أقل هذا .

صاحت غاضبة :

— ولكنك تحاور وتناور للوصول إليه .

التفت إليها ، صائحاً في حدة :

— لست محاوراً أو مناوراً .. المحاور والمناورة

أسلوب الضعفاء ، أما الأقوياء فيضربون هدفهم  
مباشرة .

صاحت به :

— خطأ يا فتى .. كل عباقرة الحروب يحاورون

ويناورون ، لكسب معاركهم بأقل خسائر ممكنة .

— لست عبقرى حروب .

— ولكنك عبقرى فرار .

— فرار من ماذا ؟

— إنها تكنى كبداية .  
صاح في عصبية بالغة :  
— وكَم من السنوات ستستغرق هذه البداية ؟ ..  
عشر سنوات مثلاً .

تمتت :

— ربما .

هتف في حدة :

— ثم ماذا ؟ .. ستكون الأسعار قد تضاعفت

خمس مرات و ..

قاطعته في عصبية ، وقد عجزت أخيراً عن تمالك  
جأشها :

— وماذا يا ( معتر ) ؟

أدهشته حدةً ، التي لم تواجهها أبداً من قبل .  
فصمت ، وهو يحدق في وجهها بدهشة ، فوجدت  
نفسها تستطرد في عصبية :

— لم لا تكشف أوراقك ، وتقول كل ما لديك

في صراحة ؟ .. لماذا تعتمد إلى تلك المقدمة الطويلة ،



— من مسئوليتك تجاهي .

توقف الحديث بفتة عند تلك النقطة ، وحدّجها  
هو بنظرة غاضبة ساخطة ، ثم نهض من مكانه ، وعقد  
كفيه خلف ظهره ، وراح يتحرك أمامها في عصبية ،  
خفت تدريجياً ، إلى أن قال في توثر :

— أتعلمين ما هي متطلبات الزواج ؟

حاولت أن تخفّف من عصبيتها ، وهي تجيب :

— نعم .. شقة للسكن ، وأثاث متواضع و ..

قاطعها في حدة :

— ومن يرضى بأثاث متواضع ؟

أجابته ، وهي تسيطر على أعصابها في صعوبة :

— أنا ..

التفت إليها في حدة ، وكأنما لم يكن يتوقع منها  
هذا الجواب ، ومضت لحظة من الصمت : قبل أن  
يغمغم في سخط :

— هراء .

ثم لوّح بذراعه ، هاتفاً في عصبية :

— كل الفتيات يقلن ذلك ، حتى تمّ خطبتهن ،  
ثم يرهقن خطابهن بمطالبهن ، التي يأتين أن تقل عما  
لدى الأخريات .

اغرورقت عينها بالدموع ، وهي تتمم :

— لست من هذا النوع يا (معتر) .

لم يبد عليه أنه قد سمعها ، وهو يواصل عصبيته :

— وحتى لو وافقت الفتاة على مستوى متواضع ،  
فإن أهلها لا يقبلون ذلك أبداً ، بل يصرون على أن  
تبدأ ابنتهم حياتها ، من حيث انتهت حياتهم هم ، وأن  
تجد لديها — منذ البداية — ما حصلوا عليه هم بشق  
الأنفُس ، بعد سنوات من العمل والعرق والكفاح .  
أرهقتها عصبيتها المتواصلة « التي صدمتها في اليوم  
الذي تصوّرت به بدايتها » ، فقالت في توثر :

— ما الذي تريد أن تصل إليه بالضبط يا (معتر) ؟

أريد أن تقول إنك لن تخطبني ؟

لم يفه بحرف واحد « وهو يشيح بوجهه بعيداً ،

فأكملت في عصبية :

— قلها صراحة إذن .. إنك تفرّ من وعودك .

أجابها في توتر ، دون أن يلتفت إليها :

— الزواج مسئولية ضخمة .

هتفت في حدة :

— كان ينبغي أن تفكر في ذلك منذ البداية ،

لا أن تفاجئني به اليوم .

استدار إليها في حركة حادة ، وأشار إليها ،

صائحاً في غضب :

— هذا الكلام ينطبق عليك أنت ، لا على أنا ،

فلم أسع إليك أبداً .. أنت سميت خلقي دوماً ، ومنذ

البداية .

شحب وجهها ، وتراجعت كالمنعومة ، وهي

تقول :

— ( معتر ) !؟ .. ماذا تقول ؟

صاح بها في قسوة :

— أقول إنك أنت أردت هذا الارتباط ، وأنت

سميت إليه .. لا أنا .

امتقع وجهها في شدة ، وتراجعت في ذعر ،

واتسعت عيناها ، وهي لا تصدّق ما تسمعه أذناها ،

وخيل إليها أنها ستسقط فاقدة الوعي ، إلا أنها تماسكت

وقاومت دوارها في حزم ، ونغممت :

— أنت على حق يا ( معتر ) .. أنا سميت إلى ذلك ،

وأنا أستحق ما تفعله في الآن .

ويبدو أن المرارة ، التي نطقت بها كلماتها ، قد

مسّت شغاف قلبه ، إذ أسرع إليها ، وهو يغمغم في

ارتباك :

-- ( عزة ) .. إنني لم أكن أقصد .

أزاحت عنها في عنف ، وهي تهتف :

.. ولا أنا .

تراجع بضع خطوات ، ووقف يتطلع إليها في

شحوب . على حين تراجعت هي ، وهي تغمغم في

ألم ومرارة :

— إنني أستحق كل ذلك يا ( معتر ) .. أستحق

كل ذلك .

ثم اندفعت تعدو مبتعدة ..

لقد بدت لى شديدة الانهيار ، وهى تقص على كل ذلك ، حتى أننى شعرت وقتئذ بكمراهية شديدة لـ ( معتر ) هذا ، ولم أجد ما أقوله سوى أن أنعم على نحو متواصل :

— لقد حذرتك يا ( عزة ) .. لقد حذرتك .

ظلت تبكى فى انهيار كامل ، لثلاث ساعات متواصلة ، حتى لقد خيل إلى أن دموعها قد جفت تماماً ، وأنها لن تبكى ما بقى لها من العمر ، قبل أن نغمغم فى مرارة :

— كان ينبغي أن أستمع إليك يا ( سوسن ) ..

إننا مازلنا فى مجتمع شرقى ، ومن العسير أن يتغير ذلك ، فى جيلنا على الأقل .

نغممت ، وأنا أضغطها إلى صدرى فى حنان وإشفاق :

— لن يتغير أبداً .

كنت أشعر بعمق الإهانة ، التى أهانها لها ( معتر ) ،

عندما هاجمها بكونها هى التى سعت إليه ، وعلى الرغم من أن ذلك كان حقيقة ، إلا أن هذا لم يمنعنى من الشعور بكرهه فى شدة ، وأنا أربت على كفها ، مغممة فى غضب :

— انسيه يا ( عزة ) .. أسقطيه من عقلك وقلبك تماماً .

سالت دموعها فى غزارة ، وهى تقول فى ألم :

— اطمئنى يا ( سوسن ) .. لقد انتهى ( معتر ) من حياتى .. انتهى إلى الأبد .

\*\*\*



جاءت توقيت تلك الصدمة ، التي أصابت ( عزة ) ،  
متوافقاً مع نهاية العام ، مما جعل من الطبيعي ألا تلتقي  
بـ ( معتز ) بعدها لفترة طويلة ، قضتها كلها في منزلها ،  
على عكس عاداتها « حتى لقد شعر والدها ووالدتها  
بالقلق ، بعد أن لاحظا كيف فقدت ابنتهما مرحها  
ونشاطها وحيويتها ، وصارت تقنع فجأة بالجلوس في  
حجرتها « ومشاهدة برامج التليفزيون بعض الوقت ،  
وعندما ذهبت لزيارتها ، بعد شهر واحد من صدمتها ،  
استقبلتني والدتها ، ومست في أذني في قلتي :

- ( سوسن ) .. أيضاً يذكرك لو تحدثنا معاً بضمع  
لحظات ، قبل أن أخبر ( عزة ) بمقدمك .

لم يدهشني مطلبها أو أسألها ، إذ كنت أعلم أنها  
شديدة القلق على ابنتها بالضرورة ، وشديدة الرغبة  
في معرفة ما أصابها ..

ولقد كنت أشاركها قلقها الشديد على ( عزة ) ،

إلا أنني كنت أختلف عنها في أنني أعلم سببه ..

وفي حذر وتوتر ، وكسارقين يتسللان إلى متجر  
مظلم ، قادتنى الأم إلى حجرتها ، وأجلستني على طرف  
فراشها ، ثم جلست إلى جوارى صامتة ، وكأنما نحجل  
من بدء الأمر ، حتى سألتها أنا في هدوء :

- ماذا هناك يا أماء ؟

تطلعت إلى « بعينين قلقين ، ومالت نحوي تقول :  
- أنت أصدق أصدقاء ( عزة ) .. أليس كذلك ؟  
أومات برأسى إيجاباً ، دون أن أنطق بحرف واحد ،  
فسألتني في هفة وقلتي :

- أتعلمين ماذا أصابها ؟

ارتبكت لحظة ، وأنا أبحث عن جواب مناسب ،  
ثم غفمت :

- إنه بعض الضجر من روتينية الحياة فحسب  
يا أماء .

ارتسم الحزن في عينيها « وهي تقول في لهجة أقرب  
إلى الضراعة :

— لست أسمعى خلف ثبريرات تقليدية يا بني ،  
وما طلبت التحدث إليك بمقدنا ، لأسمع منك عبارات  
مجاملة ، وإنما أنا أم ، والأم يا بني تشعر دوماً بكل ذرة  
حزن في نفوس أبنائها .. سلى أمك ، وستخبرك أنني  
على حق .

عغمت في تلعم :

— أنا واثقة من ذلك .

عادت تقول في حزن :

— لئنني أعلم أن ( عزة ) حزينة .. حزينة من شيء  
ما ، ولكن يبدو أن هذا الشيء خاص جداً ، إلى حد  
أنها تخفيه عني وعن والدها ، في إصرار ، ولكنتك  
صديقتها الوحيدة ، ومن المؤكد أنك تعلمين سر حزنها .  
ترددت ، وأنا لا أدري بم أجيب ، فلقد شعرت  
أن أم ( عزة ) ستكشف كلني على الفور ، لو أنني  
أجبت بالنفي ، وستطالبنني بإخبارها بالتفاصيل ، لو أنني  
أجبت بالإيجاب ، ولم يكن من حق كشف سر ( عزة )  
أبدأ ..

ولكنها كانت سيده ذكية ..

لقد بدا لي وكأنها قد أدركت حيرتي ، وهي تقول  
في قلق :

— أهو حب ؟

لم أجب بالإيجاب ، ولكن التردد بدا واضحاً في  
ملاعبي ، فاستطردت الأم في لفظة :

— هل مبرها ؟

لم أملك في هذه المرة سوى أن أومئ برأسي إيجاباً ،  
فأطل الحزن من عيني الأم ، وهي تغتم في ألم :

— هو الخاسر .. لأنه لن يجد مثل ( عزة ) أبداً .

مضت لحظة أخرى ، غلفنا خلالها الصمت ، ثم  
نهضت الأم ، وعغمت :

— شكرأ يا بني .. هذا كل ما أردت معرفته .

غادرنا حجرنا ، ومضت بي إلى حجرة ( عزة ) ،  
وطرقت بابها ، ثم ربتت على كفي ، وابتمت في  
وجهي بحزن ، وتركنتي وانصرفت ..

وسمعت أنا صوت ( عزة ) من الداخل ، تقول  
في حزن :

— مَنْ ؟

أجبتها في صوت خافت ، وكأنني لا أجرؤ على  
مواجهتها ، بعد أن أفشيت سرها :  
— أنا ( سوسن ) ،

مضت لحظات ، قبل أن تفتح لي باب حجرتها ،  
وتطل عليّ بوجه شاحب باهت ، وعينين غائرتين ،  
وابتسامة مبتسرة ، وهي تغمغم :  
— مرحباً بك يا ( سوسن ) .

قبلتها في عطف ، وجلست معها على طرف فراشها ،  
وسألتني ، وهي تحمل نفس الابتسامة الباهتة :  
— كيف حال خطيبك ؟

أجبتها في خفوت :

— في خير حال ، وهو يرسل لك سلامه .

أومأت برأسها ، وكأنها تجيب سلامه ؟ وتغمغم :

— لقد قرأت له مقالاً رائعاً في جريدة الـ ..

قاطعتها فجأة :

— إلى متى يا ( عزة ) ؟

رفعت عينيها اللذابتين إليّ ، وقالت في حيرة  
وشرود :

— إلى متى ماذا ؟

أجبتها في صرامة :

— إلى متى ستقتلين نفسك من أجله ؟

أشاحت بوجهها في ألم ، وهي تغمغم :

— أرجوك يا ( سوسن ) .

ولكنني لم أستجب لرجائها ، بل واصلت ، قائلة :

— ليس هناك ما يدعوك إلى كل هذا الحزن ..

لقد قلت من قبل إنه لو لم يقدر مبادرتك ، فهو  
لا يستحقك .. اعتبر به لا يستحقك إذن . وانسيه تماماً .

قالت في مراارة :

— لقد أهانتني .

كنت أتمنى أن أواسيها ، وأن أهوّن عليها أمرها ،



إلا أنني قرّرت أن أتعامل معها كما يتعامل الجراح مع ورم خبيث ..

أن أستأصل آلامها بكل قسوة ، رحمة بها ..  
وفي خشونة ، قلت لها :

— لماذا ؟

التفتت إلىّ في دهشة ، وهتفت في حيرة :

— ماذا تقولين يا ( سوسن ) ؟ .. ألم أخبرك ؟

— أخبرتني بماذا ؟

— عجباً ! .. ألم أقل لك إنه قال إنني أنا التي سمعت

إليه ؟

أجبتها بكل برود :

— وهذا صحيح .

حذقت في وجهي بذهول ، دون أن تنجح في

نطق حرف واحد ، فأضفت في حزم :

— هذا ما حدث أماً .. إنه لم يبيع لك بحبه

أبداً .. أنت سمعت إليه بالفعل ، وكنت تريد أن

تخبره بنفسك أيضاً .. أليس هذا هو ما حدث ؟

اتسعت عيناها لحظات في هلع ، ثم أطرقت  
بوجهها ، وغفمت في مرارة :

— بلى .

قلت في صرامة :

— لماذا تعتبرين ذكره لذلك إهانة إذن ؟

طال صمتها بعض الوقت ، قبل أن تغغم في ألم :

— يبدو أنني قد أخطأت .

ثم رفعت عينيها الحزبتين إلىّ ، مستطردة :

— في الحاليتين .

وعادت تطرق بوجهها أرضاً عدة لحظات ، خبم

على الحجرة خلالها صمت مطبق ، قبل أن تنفجر فجأة ،

وتجهش ببكاء حار ..

ولم أحاول تهدئتها ..

كان هذا أسلوبني معها كلياً بكت ..

كنت أتركها لتسكب كل انفعالاتها مع دموعها ،

حتى تهدأ وحدها ..

وجلس على طرف الفراش ، أتطلع إليها في

إشفاق وتعاطف ، وهي تسكب أحزانها ودموعها في  
غزارة ..

وأخيراً ، وبعد نصف ساعة كاملة ، توقفت  
( عزة ) عن البكاء ..

توقفت فجأة ، كما بدأت ..

ومضت عشر دقائق أخرى في صمت مطبق ، قبل  
أن تبدأ هي الحديث ، قائلة :

— متى ستزوجين ؟

أدهشني سؤالها ، إلا أنني أجبت في هدوء :

— ( فوزى ) يريد أن تزوج قبل بدء الموسم

الدراسي القادم .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

— وماذا تريدن أنت ؟

هزئت كتفي ، وأنا أقول في لامبالاة :

— لست أهتم كثيراً بتحديد موعد الزفاف .

تطلعت إلى في حيرة ، وهي تسألني :

— ألسن نحينه ؟

أجبتها في هدوء :

— ليس من الضروري أن أحبه .. المهم أن يحبني

هو ..

هتفت في دهشة :

— أى منطق هذا ؟

أشرت إلى رأسي ، وأنا أقول :

— منطق العقل .

ابتسمت في حيرة ، وهي تغمغم :

— كيف ؟

أجبتها في رصانة :

— إنه زوج مناسب من كل الوجوه ، وأنا لست

غارقة في حب أى مخلوق ، ولن أنتظر حتى أقع في

حبه .. إنني أوافق على الزواج منه بمنطق عقلي فقط ،

وأطمئن إلى أنه ما دام يحبني ، فسيسعى لإسعادي .

وسيدفعني هذا بالضرورة إلى حبه .

نغممت في دهشة :

— ياله من منطق عملي !

— لَوَّحَتْ بِكَفِّي ، قَائِلَةً :

— إِنَّهُ مَنْطِقُ عَصْرِنَا .

مَطَّئَتْ شَفَتَهَا السُّفْلَى ، وَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا إِيحَابًا ،  
وَهِيَ تَقُولُ فِي خَفْوَتِ :

— أَنْتِ عَلَى حَقِّ .

وَنَهَضَتْ مِنْ فِرَاشِهَا ، وَقَدْ بَدَتْ لِي وَكَأَنَّ حَيَوِيَّتَهَا  
قَدْ عَادَتْ إِلَيْهَا ، وَقَفْتُ تَتَطَلَّعُ عَبْرَ نَافِذَةٍ حَجَرَتِهَا فِي  
صَمْتٍ ، إِلَى أَنْ قَالَتْ فِي هَدْوٍ :

— أَتَعْلَمِينَ أَنْ (حَازِمَ) ، ابْنَ خَالَتِي ، يَسْمَى  
لِخَطْبَتِي مِنْذَ عَامٍ قَرِيبًا ؟

هَتَفَتْ فِي دَهْشَةٍ :

— (حَازِمَ) ؟ .. أَتَقْصِدِينَ ذَلِكَ الْمُهَنْدِسَ الْوَسِيمَ ؟

أَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا إِيحَابًا ، دُونَ أَنْ تُدِيرَ عَيْنَهَا عَنْ  
النَّافِذَةِ ، فَهَتَفَتْ فِي دَهْشَةٍ :

— وَلَكِنَّكَ لَمْ تُخْبِرِيَنِي بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ .

\*\*\*\*\* ٦٠ \*\*\*\*\*

هَزَّتْ كَتِفَيْهَا ، وَهِيَ تَقُولُ :

— لَمْ أَعْتَقِدْ أَنَّهُ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ ، ثُمَّ لَمَّا لَمْ  
أَشَأْ إِشَاعَةَ الْأَمْرِ ، مَا دَمْتُ أَرْفُضُهُ .  
عَغِمْتُ فِي أَسْفٍ :

— يَا لَلْخَسَارَةِ ! .. إِنَّهُ شَابٌّ نَاجِعٌ وَمُمْتَازٌ .

تَمَتَّتْ فِي هَدْوٍ :

— نَعَمْ .. إِنَّهُ كَذَلِكَ .

سَأَلْتُهَا فِي دَهْشَةٍ :

— لِمَاذَا تَرْفُضِيهِ إِذَنْ ؟

صَمَتَتْ لِحِطَّاتٍ ، أَدْرَكَتْ خِلَالَهَا مَخَافَةٌ سَوَالِي « إِذْ  
أَنْتِي أَكْثَرُ مِنْ تَعْرِفِ سِرِّ رَفْضِهَا لِابْنِ خَالَتِهَا » فِي أَثْنَاءِ  
ارْتِبَاطِهَا بِـ (مَعْنَزٍ) ، وَاحْتَفَنَ وَجْهِي لِحِظَةً ، وَأَنَا  
أَسْتَطَرِدُ :

— أَغْنَى هَلْ تَقْدِمُ لَكَ مَرَّةً أُخْرَى قَرِيبًا ؟

عَادَتْ تَوْحِي بِرَأْسِهَا إِيحَابًا ، دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَيَّ ،  
مَغْمُغَةً :

— أَوَّلَ أَمْسٍ .

\*\*\*\*\* ٦١ \*\*\*\*\*

## ٩ - سبق السيف العزل ..

يبدو أن تلك الخطبة كانت ما تحتاج إليه (عزة) بالضبط ، لتجاوز صدمتها ، فلم تكذب تعلن موافقتها على الارتباط بابن خالتها (حازم) ، حتى ذهب شحوبها ، وتلاشى توثرها وحزنها ، وعاد إليها مرحها مرة أخرى ، مما جعلني أوقن من أن المرأة هي المرأة .. كل امرأة ، في العالم بأسره ، تحب أن تشعر بأنها مرغوبة ..

هذا وحده يملأ نفسها بالسعادة والحيوية ، ويدفع النشاط في عروقها وقلبها ..

ولقد كنت أرى - في الواقع - أن (حازم) زوج مناسب جدًا لـ (عزة) ، فهو في الثلاثين ، مهندس ناجح ، وسيم ، يرى ، يملك كل متطلبات الزواج .. إنه باختصار الزواج المناسب لأي زواج عقلائي . وفي صباح اليوم المحدد للخطبة ، ذهبت إلى الكلية ، لأؤكد لـ (فوزي) ضرورة الحضور ، ولأعصيه لشراء

سألتها في فضول :

- وماذا قرَّرت ؟

أجابني في هدوء :

- سأتابع منطق العقل .

ثم التفتت إلى ، مستطردة في حزم :

- سأقبل خطبة (حازم) .

\*\*\*



هدية مناسبة لـ ( عزة ) ، وبينما كنت أصعد إلى حيث  
حجرة الأساتذة ، فوجئت بـ ( معتز ) أمامي ..  
كان قد ازداد شحوباً ونحولا ، على نحو مشير  
للدهشة ، وبدا وجهه أشبه بجمجمة ترتدى منظاراً  
طبيعياً ، وكان صوته أشد شحوباً ، وهو يقول في لفظة  
أدهشتني :

— آنسة ( سوسن ) ؟ .. يا لها من مصادفة !  
ابتلعت دهشتي في سرعة « وقلت في برود :  
— كيف حالك يا أستاذ ( معتزة ) ؟  
هتف وكأنما كان يحلم بلقائي :  
— في خير حال .. كيف حالك أنت ؟  
ثم تردد لحظة ، قبل أن يضيف في ارتباك :  
— وكيف حال ( عزة ) ؟

راودتني رغبة قوية في أن أخبره بخطبتها ، إلا أنني  
أجبت في هدوء :  
— إنها في خير حال .. معلومة .. لقد كنت في  
طريق إلى ..

قلت هذا ، وأنا أترك مبتعدة ، فهتف في توتر :  
— آنسة ( سوسن ) .

عدت أتوقف ، وأسأله في برود :  
— ماذا تريد ؟

ارتبك وتلعثم لحظة ، قبل أن يغمغم في خفوت :  
— أتعلمين لماذا أنا هنا ؟  
أجبت باستخفاف :

— إنك تعمل هنا .. أليس كذلك ؟  
أجاب في شحوب :  
— ليس بعد .

نجمت إجابته في إعادة الدهشة إلى وجهي ، وأنا  
أسأله :

— ماذا تعني بليس بعد ؟  
اعتدل « وهو يغمغم :

— لقد تقدمت اليوم باستقالتى .  
حدقت في وجهه لحظة في صمت ودهشة ، قبل أن  
أغمغم في حيرة :

— وما شأني أنا بذلك ؟

ارتبك مرة أخرى ، ومسح عرقه الغزير بمنديله ،  
بأصابع مرتجفة ، قبل أن يغمغم :

— هل تلتصق بـ ( عزة ) ؟

عدت إلى الحديث بتلك اللهجة الجافة ، وأنا  
أقول :

— نعم .

مال نحوي ، قائلاً في لهجة أقرب إلى الصراعة :

— أيمكنك إبلاغها رسالة ؟

أحنقني سؤاله في شدة ، لسبب ما ، فهتفت به  
فجأة في غضب :

— كلا .

تراجع في دهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا ؟

وجدت نفسي أنفجر صاخحة :

— ماذا تريد منها ؟ .. ما الذي تنوي أن تفعله

بها ؟ .. ألا يكفيك أنك قد حطمتها ؟

ابتعد عنها .. افعل خيراً وابتعد عنها .

شعب وجهه ، وهو يغمغم في مرارة وألم :

— حطمتها ؟

صيحمتُ به في سخط :

— ألم تتوقع هذا قط ؟

أطرق برأسه في مرارة ، وهو يقول :

— مطلقاً .. لقد فعلت كل ذلك من أجلها .

عدت أحدى في وجهه بدهشة ، وأنا أهتف

باستنكار :

— من أجلها ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول في مرارة :

— نعم .. من أجلها .. أتظنين أنني رجس

بلا قلب ؟ .. أتصورين أنه كان من السهل أن ألقى

إليها بكلمات جارحة ؟ .. لقد فعلت كل ذلك حتى

أدفعها إلى كراهيتي .

نمغمت في دهشة وحيرة :

— كراهيتك ؟

هتف في ألم :

— نعم .. أتدرين لماذا ؟ .. لأن ( عزة ) مخلوقة رائعة ، تذيب رقة وأنوثة ، وأنا شاب عادي ، من أسرة أقرب إلى الفقر ، ولن يمكنني أبداً أن أوفر لها حياة تحافظ على رقتها وأنوثتها .. لقد أغشى حبها عيني وعقلي ، حتى كدت أهمل تلك الحقيقة وأتناساها ، ثم لم ألبث أن أدركتها بكل قسوتها ، حينما ظهرت نتيجة البكالوريوس ، وعلمت أن معركتي مع الحياة قد حانت .. يومها قررت أن أجعل ( عزة ) تكرهني ، حتى تباعد عني بلا جراح أو ندم .

نعمت في شك :

— إنني أشتم رائحة واحد من الأفلام السينمائية الرخيصة .

قال في ألم :

— كلاً يا ( موسن ) .. إنها الحقيقة .

كانت كلماته تقطر بالمرارة ، على نحو يستحيل معه

أن يكون كاذباً أو مخادعاً ، فشعرت نحوه بشفقة حقيقية ، وأنا أسأله في خفوت :

— إذن فإزلت نجيباً ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال بكلمات دامعة :

— بل أذوب عشقاً لها .

تهددت في أسف ، ونعمت :

— يا للخسارة ! .. سبق السيف العزل .

أمسك كتي في قوة ، وهو يقول :

— ليس بعد يا ( موسن ) .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في حزم :

— أتدرين لماذا تقدمت باستقالتي ؟ .. لقد سمعت

منذ اقترافي عن ( عزة ) ، للحصول على وظيفة جيّدة ،

بمرتب يتيح لي التقدم لخطبتها ، ولقد عثرت عليها

أخيراً .. إنني أحمل عقداً ، للعمل كصحفي سياسي »

في جريدة الأنباء الكويتية ، بمرتب يمكنني للحصول على

كل مستلزمات الزواج في عام واحد .

هتفت في دهشة :



— وكيف حصلت على مثل هذا العقد ، دون  
خبرة كافية ؟

ابتسم ، وهو يقول في حماس :

— لقد كانت الجريدة تنشر لى بعض المقالات  
بالمراسلة ، منذ كنت فى السنة الأولى بالكلية ، ولكننى  
لم أتوقع فى الواقع أن يعتبروا ذلك فترة خبرة كافية .  
أدهشتنى المفاجأة ، فرحت أردود :

— يا إلهى !! .. بالمفاجأة !!

هتف فى حرارة :

— لقد فعلت ذلك من أجلها يا ( سوسن ) .

تنهدت ، وأنا أنغم فى أسف :

— سبق السيف العزل .

هتف فى حماس :

— ليس بعد .. لأننى ذاهب إلى منزل ( عزة )

الآن .. سأقدم لخطبتها ، واعتذر لها عن كل ما بدر

منى و ..

قاطعته فى ألم :

\*\*\*\*\* ١٠٠ \*\*\*\*\*

— سبق السيف العزل يا ( معتز ) .

حدق فى وجهى لحظة فى حيرة ، ثم سألنى فى

صوت مرتجف :

— ماذا تقصدين ؟

لم أستطع مواجهة عينيه ، فخفضت عينى ، وأنا  
أجيب فى خفوت :

— الليلة خطبة ( عزة ) إلى ابن خالتها ( حازم ) .

لم يفه بحرف واحد ، مما أشعرنى بفضول شديد  
لرؤية ملامحه ، ولم أكد أرفع عينى إلى وجهه حتى  
هالنى ما رأيت ..

كان وجهه قد امتنع ، وغابت منه دماء الحياة  
تماماً ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وانقبضت عضلات  
وجهه كلها ، حتى بات مظهره مخيفاً ، قبل أن يتمتم  
فى ألم وحزن هائلين :

— خطبتها ؟

أومأت برأسى إيجاباً ، ولحمت دمعتين تترقرقان فى

عينيه ، وهو يشرد ببصره بعيداً ، فغمغمت فى أسف :

\*\*\*\*\* ١٠١ \*\*\*\*\*

كانت أول مرة أكشف فيها الاختلاف الشديد بيني وبين زوجي مى فى ليلة خطبة (عزة) إلى (حازم) ..  
لقد أشرت عليه بارتداء حلة فاتحة اللون، ورباط عنق داكن، نظراً إلى أننا فى فصل الصيف، إلا أنه قد ارتدى حلة داكنة، ورباط عنق فاتح اللون..  
قد يبدو ذلك تافهاً فى نظركم، ولكنه ليس كذلك فى نظري ..

هل قرأتم آخر الأبحاث العلمية عن علاقة شخصية المرء بألوان ثيابه ؟ ..  
لقد قرأت أنا هذا البحث ..  
قرأته بإمعان شديد، وهو يؤكد، طبقاً لما حدث، أننى و ( فوزى ) نختلف عن بعضنا تماماً ..  
ولقد أثبتت الأيام ذلك ..

المهم .. دعونا لا ننحرف مرة أخرى عن قصتنا ..  
لقد ذهبت فى تلك الليلة إلى حفل خطبة (عزة)

- ( معتز ) .. هكذا شاء القدر و ..

أسكننى بإشارة من يده، وقال بصوت أكثر شحوباً من وجهه :

- إنها تستحق من هو أفضل منى بالتأكيد .  
ثم أجبر نفسه على أن يتسم ابتسامة شاحبة ، مستطرداً :

- فحتى الآن لست أملك ما أقدمه لها ، سوى هذا .

ثم أشار إلى صدره « مستطرداً فى ألم :

- قلبي ..  
ودون أن أدري ، وجدت نفسى أبكى ..  
أبكى نهاية قصة حب ..

\*\*\*

و (حازم) ، بصحبة زوجي - خطيبي آنذاك -  
( فوزي ) ، وكنا الضيفين الوحيدين ، من خارج  
الأسرة ، في الحفل العائلي البسيط ، ولقد بدت ( عزة )  
باهرة الحسن ، رائحة الجلال ، في ثوب وردي أنيق ،  
أخفى بعض شحوب وجهها ، الذي أدهشني ، حتى أنني  
انتهزت فرصة مصافحتي وتقبيل لها ، ومست في أذنها :  
- ماذا بك ؟ .. إنك شاحبة للغاية !

كان من الواضح أنها نجبر نفسها ، على رسم تلك  
الابتسامة الباهتة على شفثيها وهي تهمس :  
- لا شيء يا (سوسن) .. فقط تذكرت أمراً ما .  
كدت ألعن نفسي « حينما أفلت لسانى ، قبل أن  
أدركه ، ليقول :

- فى ( معتر ) .

ازداد شحوبها ، لحظة نطقى بالاسم ، وأومات  
برأسها إيجاباً ، فهمست فى توأثر :

- لم يعد له ( معتر ) مكان فى قلبك يا ( عزة ) ..  
ينبغى أن تدركى ذلك .

أجابتنى فى مرارة :

- تقصدين أنه لم يعد له مكان فى حياتى ، وليس  
فى قلبى ، فهو يمتلك قلبى كله .  
نعممت فى دهشة :

- كيف يا (عزة) ؟ .. لقد نصورت أن أحرك  
فى الأيام السابقة ، كان يعنى ..  
قاطعتنى فى حزن :

- لم يكن سوى محاولة لإقناع نفسى بأن هذا  
ما أريده يا (سوسن) .

نمتت فى ارتباك :

- يا إلهى !!

أجابتنى فى حزن :

- لا عليك يا (سوسن) .. لقد قبلت خطيبي إلى

( حازم ) بإرادتى .

نمتت فى حزم :

- ينبغى أن تنسى ( معتر ) يا ( عزة ) .. ينبغى

ذلك .

هزّت رأسها نفيّاً في بطاء ، وهي تقول :

— لست أملك ذلك يا (سوسن) .. لست أملك

ذلك .

مال (حازم) نحونا في تلك اللحظة ، وضحك وهو

يقول :

— الخمس ممنوع هذه الليلة ، إلا مع الخطيب .

ابتسمت (عزة) في شحوب ، وتراجعت أنا في

ارتياح ..

لا ينبغي لها أن تفكر في (معتر) الآن ..

ولا فيما بعد ..

لقد صارت ملكاً لرجل آخر ، وينبغي لها أن

تستسلم لواقعها ..

أفقت من أفكاري على صوت والد (عزة) ،

وهو يقول :

— لقد وصلتك هدية خاصة يا بني .

التفتت إليه (عزة) في شرود ، وهي تغغم :

— أية هدية يا أبي ؟

ناولها علبة مخملية « وهو يقول :

— ها هي ذى .

تناولتها منه في آلية ، ووضعنها إلى جوارها ، وهي

تسأله في روثينة :

— من أرسلها ؟

هزّ والدها كتفيه ، وهو يقول :

— لست أدري .. إنها تحمل اسمك فحسب ..

افتحها ، فربما كانت هناك بطاقة داخلها ..

لست أدري لماذا خفت قلبي في قوة ، حينما رأيته

تفتح العلبة ١٩ ..

— أمي غريزة المرأة ، كما يقول الأدباء ١٩ ..

أم هو استنتاج سريع ؟ ..

المهم أن اختلاج قلبي قد تضعف في قوة ، عندما

رأيت ذلك البريق ، الذي أطل من عيني (عزة) ،

وهي تتطلع إلى داخل العلبة « واشتعلت فضولاً ، وأنا

أتساءل عما رأيته داخل العلبة ..

وبينما أقرب منها « سمعت والدها يقول :

— لا توجد بطاقات ، ولكنها في الواقع هدية رائعة ، تشفى عن حسن ذوق مرسلها .

زاد هذا من فضولى ، فاندفعت نحو ( عزة ) ، وقبل أن أسألها عن الهدية ، سمعت ( حازم ) يقول فى صرامة :  
— من صاحب هذه الهدية ؟

أجابته ( عزة ) فى حذر ، وهى تغلق العلبة فى اهتمام ، وتدسها جانبا ، بعيداً عن يده :

— ولماذا صاحب؟ .. لم لا تكون صاحبة الهدية ؟  
قال فى حدة :

— هذه الهدية لا يرسلها سوى رجل .

قالت فى توتر :

— لماذا ؟

أجاب فى صرامة :

— لأنها لا تحمل أية توقعات ، ولأن تكوينها

لا يصلح إلا كهدية من رجل إلى امرأة ، أو العكس .

تهدت ، وأجابت فى توتر :

— فليكن .. لا أحد يعلم من مرسلها .

مده يده يحاول اختطاف العلبة ، وهو يقول فى صرامة :

— أنت تعرفين .

أمرعت تبعد العلبة عن يده ، قائلة فى جذع :

— تمن وضع فى عقلك هذه الفكرة ؟

نجح فى اختطاف العلبة ، وهو يقول فى غضب :  
— الهدية نفسها .

تعلق بصرى بأصابعه ، وهو يفتح العلبة المخملية ، ويلتقط من داخلها الهدية فى غضب ..

ولم أكد ألمح تلك الهدية ، حتى علمت على الفور أن ( معتر ) مرسلها ..

لقد كانت عبارة عن قلب من الذهب ..

قلب لا يحمل أية علامات أخرى ..

وأدركت على الفور ما الذى يعنيه بذلك ..

لأنه يهديه إليها ..

يهدى إليها قلبه ..



أحداث كثيرة جرت ، في العام التالي لخطبة (عزة) ..  
 مسافر (معتر) إلى (الكويت) ، وبدأت مقالاته  
 في الظهور ، ومرعان ما لمع نجمه في سماء الصحافة  
 هناك ، واشتهر بمقالاته الجريئة القوية « التي صرنا  
 ندرسها في الكلية ، ونحن نشعر بالفخر ؛ لأن صاحبها  
 زميل سابق ، لم يعض على صفه أكثر من عام واحد .  
 وكانت (عزة) أكثرنا سعادة بنجاح (معتر) «  
 حتى أنني شعرت بدهشة بالغة « وسألته يوماً :

— أما زلت تحببته يا (عزة) .

أجابتنى في ثقة : بالتأكيد .

### حضرت فی استنکار :

— ولماذا بالتأكيد؟

ارتسمت علی شفیتها ایستامه حزینة، وهی نجیب :

— لأنني قد منحت قلمي منذ زمن ، ولم يعد لدي

ما أُنحِده لسواة .

\*\*\*\*\* 11. \*\*\*\*\*

— وماذا عن (عازم) ؟

— إنه خطي .

— دون قلبك .

... إنه مبالغ . . لقد اخترته بعقلي فقط .

— أنت تلعبين بالنار يا (عزة) .

— لا عليك .. ربما كنت أهوى ذلك .

کم تمنيت يومها لو أخبرتها بما سمعته من (معتر)...

کم تمنيت لو أنها عرفت كم يحبها..

اكان ينبغي أن أفعَل يا تُرى ؟ ..

أكان من الضروري أن أضيء لها الطريق ؟ لتعلم

حقیقۂ مشاعرہ نمبر ۲۰۰ ..

كم ألقيت هذا السؤال على نفسي ، دون أن أحظى

منہا پچواہ شاف ..

جزء من نفسی کان یحییٰ بالایجاب ، مؤکداً

ضرورة أن أخبرها ، ما دامت تحمل له كل هذا

الحب ، وهي تصوّره عازفاً عنها ..

وكان لهذا الجزء من نفسي منطقة ..

كان يرى أن العقبة ، التي كانت تعترض طريق  
حبيهما ، قد انزاحت ، بنجاح ( معتر ) ، وعمله في  
( الكويت ) ، وأن ذلك يجعل من الضروري أن يلتقيا  
مرة أخرى ، وأن تعود شمس الحب ، لتشرق في سماء  
حبيهما ..

وكان يرى أنه ليس من المهم أن تمضى الحياة  
على ما هي عليه ، وإنما المهم أن تمضى على ما ينبغي  
أن تكون عليه ..

أما الجزء الآخر من نفسى ، فقد كان له رأى  
آخر ..

كان يرى أن الخطبة مرحلة من مراحل الزواج ،  
وأنه ما دامت ( عزة ) تضع في إصبعها دبلة ( حازم ) ،  
فهى ملك له ، ومن الخيانة أن تصبح لغيره ..

وأيا ما كان رأيكم ، فقد أطلعت ذلك الجزء الآخر ،  
ولست أدري لماذا ، فلم أخبر ( عزة ) بما سمعته من  
( معتر ) ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت علاقة ( عزة )

بـ ( حازم ) تسير من سيئ إلى أسوأ ، إذ تعارضت  
شخصيتاهما في شدة ، على الرغم من أن ( عزة ) قد  
فقدت الكثير من مرحها وبساطتها ، على مدار ذلك  
العام ، وصارت أميل إلى الرصانة والاتزان ، على نحو  
تدريجى ، لم يلحظه من زملائنا سوى ، لاهتائى  
الشديد بأمرها ، فقد كان ( حازم ) من ذلك النوع ،  
الذى يسرى الشك في عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ،  
بما يجعله شديد الغيرة ، كثير التساؤلات ، على حد  
كفيل بإثارة أعصاب أشد الناس هدوءاً ، أضف إلى  
ذلك أنه قد علم بقصة ( عزة ) مع ( معتر ) ..

لقد أثار ذلك القلب الذهبى ، الذى وصل إلى  
( عزة ) ، في يوم خطبتهما شكوكه ، فراح يتحرى  
عن ماضيها بأسلوب بوليسى ، حتى عرف كل قصتها  
مع ( معتر ) ، فيما عدا سبب انفصام تلك العلاقة ،  
الذى لم يكن يعلمه أحد سوانا ..

ولقد أحال ( حازم ) حياة ( عزة ) بسبب ذلك ،  
إلى جحيم ..

كان يصرّ على أن يوصلها بنفسه إلى الكلية ، وأن  
ينتظرها في العودة ، ويفاجئها أحياناً بزيارتها في الكلية ،  
ويرمق كل من تتحدث إليه شذراً ، حتى صارت تكره  
قدمه أو مقابلته ، وتعلّصته ..

وعلى الرغم من سفر ( معتر ) إلى ( الكويت ) ،  
فقد كان ( حازم ) يغار منه في شدة ، ويكره أن يرى  
( عزة ) تقرأ مقالاته ، حتى أنه منعه من شراء جريدة  
الأنباء الكويتية تماماً ..

و ذات يوم عيل صبرها ، فصاحت به في غضب :  
( حازم ) .. إنك تتجاوز حدودك .. لست أسمع  
لك أبداً بفرض رأيك على ما أقرأ ، وما لا أقرأ .  
أجابه في عناد :

— بل سأفرض كل ما أشاء ، ما دمت خطيبك .  
— ومن قال إن هذا يمنحك الحق في فرض رقابة  
ثقافية عليّ ؟

— أنا أقول ذلك ؟

— ومن تظن نفسك ؟

— أنا خطيبك ، وابن خالتك ، وفوق هذا  
وذاك ، أنا ( حازم مختار ) ، أشهر مهندس معماري في  
( مصر ) كلها .

— ياللفرور !

— ليس غروراً .. إنه حقيقة .. إنني أكثر شهرة  
ونجاحاً و ثراءً من حبيبك السابق هذا .

— مَنْ تقصد ؟

— ذلك الوغد ( معتر ) .

— ( معتر ) ليس وغداً .

— أنا أقول إنه كذلك .

— قل ما يحلو لك ، ولكنك لن تقنع طفلاً واحداً  
بذلك .

— إنك ما زلت تحببته .. أليس كذلك ؟

— هل تغار منه ؟

لم يكده الحديث يصل إلى تلك النقطة ، حتى صاح  
في غضب :

— أغار ؟! .. أنا ؟! ، وما دخل الغيرة في ذلك ؟



— لأنك خطيبي و ..

— كلاً .. لست أغار .. إنني أحافظ على سمعتي

وكرامتي .

— وعلى أنا .

— كلاً .. على سمعتي وكرامتي فقط .

تطلعت إليه في دهشة « و هتفت في استنكار :

— ألا أساوى عندك أن تغار على ؟

عقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول في صرامة :

— كلاً .

انعقد حاجباها في غضب ، وهي تقول :

— اضرب رأسك في الحائط إذن ، فأنا لن أتوقف

عن قراءة مقالات ( معتر ) .

هتفت في غضب :

— إنني أحذرك .

أجابته في صلابه وعناد :

— قلت لك : اضرب رأسك بالحائط .

يومها انصرف غاضباً ، وهو يقسم على أن يجبرها

على طاعته ، مهما لزم الأمر ، فقلت لها في إشفاق :

— لماذا تصرين على معاندته ؟

أجابتي في صلابه :

— لأنه يصبر على التعامل معي بدبككتاتورية .

قلت في دهشة :

— ولكنك كنت تحتملين من (معتر) أضعاف ذلك !

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وأطرقت مغفمة :

— كنت أحبه « والمثل العائم يقول : حبيبك

يبلغ لك ( الزلط ) « وعدوك يتمنى لك الغلط .

سألته في قلق :

— ألا تخمين ( حازم ) ؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

— هل نسيت ؟ .. إنه اختيار عقلا في محض .

في تلك المرة أيضاً ، تمنيت أن أخبرها كم يحبها

( معتر ) ..

وفي تلك المرة أيضاً خشيت أن أكون السبب في

انهيار خطبتها لـ ( حازم ) ..

وحتى لا تتصارع نفسى طويلا ، قررت أن أترك  
الأمر للقدر ..

ولكن ( حازم ) لم يفعل ذلك ..

لقد كان يصّر على إجبار ( عزة ) على طاعته ، ويبحث  
عن الوسيلة المناسبة لذلك ، إلى أن تفتق ذهنه عنها فجأة ..  
لقد قرر أن يتزوجها ..

نعم .. لقد وجدها الوسيلة الوحيدة لفرض سيطرته  
الكاملة عليها ..

كانت أول مرة أشاهد فيها زواجاً يتم ، ليس بـ  
طرف على الآخر فحسب ..

لقد نجح ( حازم ) فى إقناع والديّ ( عزة ) بإتمام  
الزفاف ، حتى أن والدتها قالت لها ، عند عودتنا معاً  
من الكلية :

— إننى أحمل لك خبراً سيئاً حلك للغاية يا بنتى .

ضحكت ( عزة ) ، وهى تسألها :

— أى خبر هذا ؟ .. هل قررنا تعيينى رئيسة

تحرير ، فور تخرجى ؟

ابتسمت أمها فى حنان ، وهى تقول :

— بل قررنا تعيينك فى منصب أكثر أهمية ودواماً .

وارتفع حاجباها فى حنان دافق ، وهى تردف :

— منصب زوجة .

هتفت ( عزة ) فى صوت يحمل الدهشة والاستنكار

معاً :

— منصب ماذا ؟

أجابتها أمها فى قلق :

— زوجة يا بنتى .. اليس هذا ما تتمناه كل بنت

فى العالم ؟

صاحت ( عزة ) فى حدة :

— إلا أنا .

بدا الضيق على وجه والدتها ، وهى تقول :

— لماذا قبلت خطبة ( حازم ) إذن ؟

لوّحت عزة بكفها ، وهى تقول فى حنق :

— الخطبة شيء ، والزواج شيء آخر .

تسلل بعض الحزم إلى صوت الأم ، وهى تقول :

— الخطبة خطوة نحو الزواج يا (عزة) .

بدا الضيق على وجه (عزة) ، وهي تقول :

— ولماذا تصعبون إتمام الزواج إلى هذا الحد ؟

أجابتها والدتها في حزم :

— لأنه لا مبرر للانتظار ، وإضاعة الوقت ،

فـ (حازم) يملك كل شيء ، الشقة والأثاث والدخل

الجيد ، والسيارة ، وإتمام الزواج اليوم أفضل من غد .

قالت في حدة :

— هذا قول الأستاذ (حازم) .. أليس كذلك ؟

أجابها أمها :

— بلى ، ولقد وافقناه أنا ووالدك على كل كلمة فيه .

ثم عاد حاجبها برقعان في حنان ، وهي تستطرد :

— ثم لأنني ووالدك نتمنى أن نفرح بزفافك ، قبل

أن تعود روحنا إلى بارئها .

أطرقت (عزة) في سكون ، وطال بنا الصمت ،

حتى نغمضت والدتها :

— ما قولك يا بنيتي ؟

نتمت (عزة) في خفوت :

— فليكن ذلك بعد امتحانات آخر العام إذن .

تهللت أسارير الأم ، وهي تقول في سعادة :

— فليكن يا بني .. فليكن .

وغادرتنا في فرح ، على حين اصطحبني (عزة)

إلى حجرتها ، وأغلقت بابها خلفنا في إحكام ، فهتفت

بها في صوت خافت :

— ماذا أصابك ؟ .. لماذا ترفضين إتمام الزواج ؟

راحت تعبت بدرج مكتبها الخاص ، وهي تغمغم :

— لأنني ما زلت أنتظر .

سألها في دهشة :

— تنتظرين ماذا ؟

التفتت إلى ، وفتحت راحتها ، وهي تقول :

— أنتظر هودته .

وفي كفها ، تألّقت ذلك القلب الذهبي ..

قلب (معتر) ..



إقترِب العام من نهايته ، وانهمكنا في مراجعة دروسنا ، وفي الاستعداد للامتحانات الختامية ، وتحسنت علاقتي بـ ( فوزى ) كثيراً ، على الرغم من أننا نختلف تماماً في كل المبادئ والأهواء ، ولكن ( فوزى ) في الواقع حنون وطيب القلب ، ومهذب ورقيق للغاية في تعامله معي ..

يا لهي !! كم كدت أنسى تلك الصفات الرائعة لزوجي . في خضم خلافاتنا العنيفة في الآونة الأخيرة !! .. لقد بذل أقصى جهده ، في الأشهر الأخيرة للعام الدراسي ، ليراجع لنا - أنا و ( عزة ) - كل محاضراته ، متحملاً ذلك العبء الجديد ، الذي يضاف إلى أعبائه المتعددة ، وخاصة بعد أن صار مقالته اليومية أو عاموده اليومية بالتحديد ، هو أول ما يطالعها قارئ الصحيفة ، التي احتلَّ هو منها مركزاً مرموقاً ..

و ذات يوم ، وقد أصبحنا على مشارف نهاية العام ،

كنا نجلس في مدرج الكلية الرئيسي ، ننظر محاضرة هامة ، عندما دخل عميد الكلية إلى المدرج ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة واسعة ، وقال في سعادة واضحة :  
- أبنائي الطلاب .. أحل إليكم اليوم مفاجأة سارة تبعث في أعماق كل السعادة والفخر .

نعمت ( عزة ) مداعبة :

- أرجو أن يقوموا بإلغاء امتحانات آخر العام .

ابتسمت لدعائها ، واستمعت إلى العميد ، الذي

واصل حديثه ، قائلاً :

- لقد فاجأنا اليوم واحد من أبناء الكلية ،

بزيارتها ، وهو زميل سابق لكم ، لم يحض على تخرجه سوى عام واحد ، إلا أنه قد بلغ شأواً يدعو للفخر في واحدة من أشهر صحف إحدى البلدان العربية الشقيقة .

شعرت بقبضة ( عزة ) تحيط بذراعي في قوة ،

وهي تتمم في صوت متحشرج :

- هوبا ( سوسن ) .. هو .

بدأ قلبي ينبض في عنف ، وأنا أقول :

— وبما يا (عزة) .. ربما .

ازدادت تشبهاً بذراعى ، وهى تهتف :

— إنه هو .. أنا واثقة من ذلك .. قلبي يؤكد أنه

هو ..

لم تكذب تهم عبارتها ، حتى كان العميد يشير إلى

باب المدرج ، قائلاً فى مزيج من السعادة والفخر ،  
والاعتزاز :

— زميلكم (معتر) ..

التفت أكف الجميع بالتصفيق ، وشمرت

بـ (عزة) ترتجف ، كريشة فى مهب الريح ، عندما

دلف (معتر) إلى المدرج ..

كان أشد شحوباً من آخر مرة رأيته فيها ، وعلى

الرغم من مرور أقل من عام واحد على لقائى له ، فقد

لاحظت أن الشيب قد بدأ يسرى فى فؤديه ، وكأنما

يحمل على كاهله ما ينهكه ويثقله ..

واستمر التصفيق لثلاث دقائق كاملة ..

واستمر جسد (عزة) يرتجف لخمس دقائق ..

ثم تحدث (معتر) ..

تحدث فى هدوء وحرصانة كعادته ، وألقى كلمة

قصيرة وافية ، عادت بعدها أكف الجميع تلتف

بالتصفيق ..

ثم صافحه العميد ..

وفى لحظة المصافحة ، شعرت بأن قلب (عزة)

ميتوقف ، بعد أن أطلقت شهقة قصيرة مكتومة ،

حملت كل جزع العالم ولوعته ..

لقد التفت فى كف (معتر) اليمنى دبلة خطبة ذهبية ..

لحظتها انهارت كل سعادة (عزة) ..

إننى لم أرها أبداً أشد شحوباً من ذلك ..

لقد عادت معى إلى المنزل ، وأنا أكاد أحلها ،

من فرط ما أصابها من ضعف ومرارة ، وألقت جسدها

على فراشها ، وراحت تبكى فى حرارة ، دون أن

أجرؤ على موااساتها بحرف واحد ..

وطوال بكائها ، لم تنطق سوى بكلمة واحدة ،

راحت ترددها بلا كلل .

— لقد فقدته .. لقد فقدته ..

تركتها — كالمعتاد — تبكى ، حتى جفت دموعها ،  
ثم قامت إلى درج مكتبها ، فالتقطت منه تلك العليقة  
المخمليّة ، وفتحتها ، وتأملت القلب الذهبي المستقر  
داخلها لحظات ، ثم انتزعت منه ، واتجهت نحو نافذتها  
في حزم ، فأمرعت أثبتت بها ، هاتفة :

— ماذا سفعلين ؟

أجابتنى في حدة :

— سألقيه .. لقد أصبحت أكرهه .

هتفت بها :

— ولكنه من الذهب الخالص !

صاحت في مرارة :

— حتى ولو كان قلباً حقيقياً .. إننى لن أحتفظ

به .

قلت في محاولة لمنعها من تعظيم رموز حبها :

— مهلاً .. من أدراك أنه هدية ( معتر ) ؟ .. إنه

لم يكن يحمل أية توفيعات .

ترددت لحظة ، ثم قالت :

— أنا واثقة من أنه هديته .

— لماذا ؟

— قلبي يقول ذلك .

— هل تثقين بقلبك حقاً ؟

— إلى حدّ ما .

— سليه إذن ، أما زال ( معتر ) يحبك ؟

— إننى أرفض أن أسأله .

— لماذا ؟

— لأننى علمت اليوم فقط أن ( معتر ) لم يحبني

أبداً ..

— أبداً ؟ ! .. من أين واثقت هذه الفكرة العجيبة ؟

— من استرجاع ذكريات كل ما حدث ..

أنسيت أنه قد أهانتني في الكلية .

لست أدري لمّ كرهت أن أراها على هذه

الصورة ؟ ..

لقد أحزننى جداً أن تتهم ( معتر ) بالخيانة ..

وشعرت - في هذه المرة - أن السر الذي أحمله  
في أعماق ينقل كاهلي ..  
لأول مرة أشعر بعجزى عن الاحتفاظ به ، مهما  
كانت النتائج ..  
وزفرت في قوة ..  
لا ريب في أن الزفرة قد قفزت من أعماق  
صدري ، ومن أغوار أغوار نفسي ، إذ أن ( عزة )  
قد التفتت إلى في دهشة بالغة . وسألتني في حيرة  
وقلق :

- ماذا بك ؟

أجبتها في خفوت :

- لدى سر ، أحب أن أخبرك به .

سألتني في دهشة :

- أي سر ؟

أجبتها في خفوت :

- سر يختص بـ ( معتر )

حدثتني في وجهي بدهشة بالغة ، وهي تغتمني :

\*\*\*\*\* ١٢٨ \*\*\*\*\*

- ( معتر ) ؟

لم أطلق صبراً أكثر من ذلك ، فاندفعت أروى لها  
كل كلمة نطق بها ( معتر ) ، في لقائي معه ، صباح  
خطبتها ، واستمعت هي إلى بوجه ممتنع ، يزداد  
شحوباً في كل لحظة ، حتى انتهت من روايتي ، فلبثت  
صامتة بضع لحظات ، تحدق في وجهي كالذاهلة ، أو  
كما لو أنها لا تصدق حرفاً واحداً مما أخبرتها به ، ثم  
نعممت في خفوت شديد :

- إذن فقد كان يحبني .

أطرقت بوجهي في أسف ، وأنا أتمتم :

- لقد سافر وهو يذوب حباً لك .

- وهذا القلب الذهبي هديته ١٩

- لست أدري يا ( عزة ) .. صدقيني .

ارتسمت على شفثي ابتسامة واسعة ، وهي تقول

في هيام :

- إنه هديته .

وضعت القلب الذهبي إلى صدرها في حنان وولع ،

\*\*\*\*\* ١٢٩ \*\*\*\*\*

ثم لم يلبث الجزع أن ارتسم في ملامحها بفتة ، وهي تهتف :

— يا إلهي !! لماذا فعلت بي ذلك يا (سوسن) ؟ ..  
لماذا أخفيت عني ذلك ؟  
نعممت في ألم :

— كنت أتصور أنني أفعل ذلك لمصلحتك .  
صرخت في مرارة :

— مصلحتي ؟ .. لقد حطمتني يا (سوسن) ..  
حطمت حبي .

بكيت بدموع الندم « وأنا أقول :

— صدقيني يا (عزة) .. إنني لم أقصد ذلك .. لم أقصده أبداً .

هبت من معقدها ، وهي تهتف :

— لا بد أن أذهب إليه .. لا بد أن يعلم أنني مازلت أحبه .

تشبثت بها ، وأنا أهتف في جزع :

— زويدك يا (عزة) ، لم يعد هذا يصلح الآن .

\*\*\*\*\* ١٢٠ \*\*\*\*\*

هتفت في استنكار :

— لماذا ؟ .. إنني أحبه ، وهو يحبني ، وسأفسخ خطيتي لـ (حازم) على الفور .

صحت بها في ألم :

— وماذا عنه ؟ .. أهو على استعداد لفسخ خطيته من أجلك ؟

امتنع وجهها بفتة ، وانهارت على مقعدها ،  
مغممة في مرارة :

— يا إلهي !! .. لقد نسيت .. لقد نسيت أمر خطيته تماماً .

وعادت تجهش ببكاء مرير ..

وعندئذ فقط أدركت دؤري ..

أنا أفسدت الأمر ..

وأنا سأصلحه ..

أقصد أنني أتعشّم ذلك ، وهذا كل ما أملك ..

\*\*\*

\*\*\*\*\* ١٢١ \*\*\*\*\*



استقبلني ( معتر ) ، في منزله ، بترحاب وحرارة  
بالغين ، وكأنما تعبد إليه رؤيتي ذكرى ( عزة ) ،  
وسألني عن أحوالي ، وعن ( فوزى ) في اهتمام بالغ ،  
ثم صمت لحظات ، وتضرج وجهه بحمرة الحجل ،  
قبل أن يضيف في خفوت :

- وكيف حال ( عزة ) ؟

أجبت في خفوت مماثل :

- بخير والحمد لله .

تردد لحظة ، ثم سألتني في صوت أشد خفوتاً :

- وكيف حال خطيبها ، الباشمهندس ( حازم ) ؟

كان هذا هو السؤال الذي أنتظره ، ولقد أجبت في سرعة :

- إنه لم يعد خطيبها .

خيّل إليّ أن جسده كله قد ارتجف بغتة ، وهو  
يسألني : ماذا تعنين ؟

\*\*\*\*\* ١٢٢ \*\*\*\*\*

قلت ، وأنا أضغط كل حرف من حروف كلماتي :  
- لقد فسخت خطيبها به .

احتقن وجهه لحظة ، ثم شحب ، وهو يغمغم :

- لست أظنه يصلح لها .

أشرت إلى الدبلة ، التي تزين إصبعه ، وأنا أقول :

- وهل تصلح خطيبة لك ؟

عمهم في دهشة :

- خطيبتي ؟

قلت متظاهرة بالهدوء :

- إنك ترئدى دبلة خطبة .. أليس كذلك ؟

رفع كفه إلى وجهه ، وحدثني في الدبلة في دهشة ،  
وكانه يراها لأول مرة ، ثم سألتني بغتة :

- لماذا فسخت ( عزة ) خطيبها - ( حازم ) ؟

أجبت في هدوء :

- لأنها لم تكن تحبه .

وصمت لحظة ، قبل أن أضيف في عقم :

- إنها تحبك أنت .

\*\*\*\*\* ١٢٣ \*\*\*\*\*

هذه المرة انتفض جسده في وضوح كامل ،  
لا يقبل الشك ، وهو يهتف :

- تحبني أنا ؟

ثم تهللت أساريره ، وهو يهب من مقعده ،  
ويتشبث بكنتي ، صائحاً في سعادة رائعة :

- أنت واثقة يا (سوسن) ؟ .. أما زالت تحبني ؟  
أسعدتني فرحتي ، وأجبت في صوت مرتجف ،  
من فرط الانفعال :

- لأنها لم ولن تحب سواك .. ليتك ترى كيف  
تحتفظ بذلك القلب الذهبي ، الذي أهديته إليها .  
هتف في سعادة :

- إنه قلبي يا (سوسن) .. لقد أعطيتها قلبي .  
أجبت في فرح :

- هي أيضاً منحتك قلبها يا (معتر) .

ثم أردفت في حزن :

- ولولا خطيئتك ..

هتف في دهشة :

- خطيئتي ؟

ثم عاد يرفع كفه إلى وجهه ، وأطلق ضحكة  
مرحة ، قبل أن يردف :

- دعك من هذا .. سينتهي كل شيء على ما يرام .

ولم تكذب تضي ساعة واحدة ، حتى كنا أنا وهو

في منزل (عزة) ..

لقد استقبلتنا والدتها بدهشة بالغة ، ولكنني

شرحت لها الأمر في إيجاز وسرعة ، فبكت في حرارة ،

وسمحت لـ (معتر) بزيارة ابنتها في حجرتها ..

وفي هدوء ، فتح (معتر) باب الحجرة ..

كانت || عزة (توليه ظهرها ، وهي تضع القلب

الذهبي أمامها ، وتبكي بدموع صامتة ..

وفي هدوء ، اقترب منها ..

وبكل حب الدنيا ، همس :

- قلبي يبرق أكثر .

رأيت جسدها كله يرتجف ، وهي تلتفت إليه .

وتهتف في صوت متحشرج :

— ( معتر ) ١٩

احتضن كفيها براحتيه ، وعالونها على النهوض ،  
وهو يهمس في حب :

— نعم يا حبيبتى .. إنه أنا .. ( معتر ) .. لقد  
أضعنا من عمرنا عاماً كاملاً ، ولا ينبغي لنا أن نضيع  
لحظة واحدة إضافية .

نعمت ، وهى تبتكى بدموع السعادة :

— إننى لم أنسك لحظة واحدة يا ( معتر ) .. لقد  
احتفظت بالقلب الذهبى دوماً .

همس في حنان :

— تخلى عنه إذن يا حبيبتى ، وهاك قلبى النابض  
بحبك .

سالت دموع الفرح على وجنتيها ، وأطرت  
برأسها ، فاصطدم بصرها بالدبلة الذهبية فى إصبعه ،  
فما جعلها تغتم في حزن :

— ولكن هناك من سيدفع ثمن حبنا هذا  
يا ( معتر ) .

\*\*\*\*\* ١٢٦ \*\*\*\*\*

نغم في هيام :

— لن يدفع ثمنه سوانا .

نمتت في ألم :

— وماذا عن خطيبتك ؟

أطلق ضحكة مرحة ، ورفع كفه أمام وجهها ،  
مضغماً :

— أتقصدين صاحبة تلك الدبلة ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، فأطلق ضحكته المرحة  
مرة أخرى ، وقال :

— اطمئنى .. إن ارتباطنا سيفرحها للغاية .

هتفت في دهشة :

— كيف ؟

خلع الدبلة من إصبعه بكل هدوء ، وأدناها من  
وجهها ، فارتفع حاجباها في حب وحنان ، وهتفت :

— ( معتر ) .

همس في حب :

— ( عزة ) .

\*\*\*\*\* ١٢٧ \*\*\*\*\*

سالت دموع سعادتها ، وهي تغمغم :

- أحبك .

تغمغم بدوره :

- أحبك .

لحظتها تمنيت أن أعرف ماذا قرأت ( عزة ) على  
الدبلة « وبعدها - بعد أن عرفت ، شعرت أنني غبية ،  
لأنه كان من المفروض أن أستنتج ذلك على الفور ..  
لقد كانت الدبلة تحمل نقشاً لقلب صغير ، حُفِرَ  
فيه اسم ( عزة ) « وإلى جواره تاريخ أول لقاء  
صريح لها ..

لقد كان - هذه المرة أيضاً - يمنحها قلبه ..  
وإلى الأبد ..

\*\*\*

## ١٤ - زوجي ..

ما زال موقف ( عزة ) من تلك العلاقة يدهشني ،  
على الرغم من مرور عشر سنوات تقريباً ، على زواجها  
من ( معتر ) ..

كل شيء تغير ، في هذه السنوات العشر ..

لقد تخرجت ( عزة ) بتقدير جيد ، ولم تتقدم أبداً  
للحصول على وظيفة ما ، بعكس ما كنا نتوقعه لها  
جيداً ..

لقد اكتفت بمنصب ربة أسرة « تغمر زوجها  
وولديها بكل الحب والحنان ..

وهي تطيع ( معتر ) طاعة عمياء ، تُشير حتى في  
كثير من الأحيان ..

صحيح أنه يعاملها بكل حب وحنان ورفق ..

وصحيح أنه لا يرغمها أبداً على طاعة أوامره ..

إلا أن طاعتها له تشير حتى لسبب مجهول ..

ربما لأننى أنصح كل قارئة ، ترسل مشكلتها إلى  
بائى ، بأن تكون لها شخصية مستقلة قوية ..

وربما لأننى أسمى منذ زمن ، لاكتساب تلك  
الشخصية القوية المستقلة ..

ولكن من العجيب أن السعادة ترفرف دوماً على  
منزل ( عزة ) و ( معتز ) ، على الرغم من أنهما يخالفان  
كل ما أنادى به ، حول تحرير المرأة ، وضرورة  
احصائها على شخصية مستقلة ..

لقد عاثبت ( عزة ) يوماً ، على طاعتها الشديدة  
لهـ ( معتز ) فابتسمت فى مرح ، وهى تقول :

— ولم لا ؟ .. إنه إنسان رصين عاقل لا يأمرنى  
أبداً إلا بما فيه صالحى ، وهو زوج محب حنون ،  
يغمرنى ويغمر طفلته برعايته .

هتفت بها :

— وماذا عن شخصيتك المستقلة ؟

ضحكت ، قائلة :

— طاعة زوجى لا تسمى إلى شخصيتى أبداً

يا ( سوسن ) ، وإلا ما أمرنا بها الله ( سبحانه وتعالى ) ..  
نعممت فى استنكار :

— وطموحك العملى .

أجابتنى فى سعادة :

— إنه يفوق طموحك أنت عشرات المرات

يا ( سوسن ) .

هتفت فى استنكار :

— كيف ؟

أجابتنى ضاحكة :

— أقصى ما تتمنيته أنت هو أن تصبحى رئيسة

تحرير ، وإذا ما نجحت فى تحقيق ذلك الطموح ،  
فسيتهى كل شيء ، عند بلوغك سن الستين ، حيث  
تخالين إلى التقاعد ، أما طموحى أنا ، فهو أن أصبح  
اميرة اطورة إلى الأبد .

نعممت فى دهشة :

— اميرة اطورة ؟

ابتسمت فى حنان ، وهى تشير إلى منزلها ، قائلة :

- نعم يا (سوسن) ، وهذا المنزل هو  
امبراطوريتي ، وشعبي هو زوجي وأبنائي .. أحرص  
على راحة الأول ، وأدفعه دوماً إلى الأمام ، وعلى حسن  
تربية الآخرين ، لتصبح امبراطوريتي أقوى .  
ثم مالت نحوي ، واستطردت في حب :  
- صدقيني يا (سوسن) .. هذا هو الطموح  
الحقيقي ..

لقد أنجبت (عزة) ابنتها الثانية هذا المساء ،  
وكانت زيارتي وزوجي لمنزلها هي و (معتز) سر  
خلافنا ، فكما قلت لكم في البداية .. لقد رأى في دفعه  
حياتهم كل ما يتمناه ..  
ولكنني أملك طموحاً لا حد له ..

صحيح أن وساطة (فوزي) ، هي التي جعلتني  
ألتحق بتلك المجلة ، وصحيح أنني أعمل منذ تسع سنوات  
في الباب نفسه ، ولكنني أطمح إلى أن أصبح يوماً  
مديرة تحرير ، أو حتى رئيسة قسم ..  
بالتأكيد سينتهى كل ذلك في الستين ..

في سن التقاعد ..

ولكن هذه سنة الحياة ..

سأكتفي يومئذ بالجلوس مع زوجي ، وأبنائي و ..  
ولكن هل سيبقى لي زوجي ، حتى يحين ذلك اليوم ؟  
هل سيحمل لي عندئذ ذرة من الحب والتقدير ؟ ..  
بل هل سأبقى أنا ؟ ..

وهل سيبقى أبنائي على حبهم لأمهم من أجل  
طموحاتها ؟ ..

يا إلهي !! .. الأمر يحتاج إلى التفكير بالفعل ..  
بل إلى قرار ..

قرار حاسم ..

معلنة أيها القراء .. سأكتفي بهذا القدر ..

سأكتفي بتلك الرواية الموجزة ، لأنه هناك عمل  
هام ينبغي أن أقوم به ..

لقد قررت أن أمتنع عن التدخين ، وأن أهم  
كثيراً بظهري ..

وسأكتب استقالتى الآن ..

لا تجعلوا هذا يدهشكم ، فهو لا يعنى سوى أمر واحد ..

لقد تضاعف طموحى كثيراً ..

لقد قررت أن أصبح امبراطورة ..

• • •

( تمت بحمد الله )

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب  
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

### للكلبي

إنها قصة شابين ،  
أحب كل منهما الآخر ،  
على الرغم من اختلاف  
مشاربهما ، وأبى القدر إلا أن  
يفرّق بينهما ، بعد أن هتف  
كل منهما للآخر ..  
( لك قلبي ) ..

٢٨